



رسالة الإمام نور الدين السالمي ت ١٣٣٢ هـ إلى المجاهد سليمان باشا الباروني ت ١٣٥٩ هـ
(دراسة في اللغة والفكر)

دكتور/ أحمد علي علي نقم

أستاذ اللغويات العربية ورئيس قسم المتطلبات العامة في كلية العلوم الشرعية

سلطنة عُمان - مَسْقَط - ١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٤ م - aloukam@css.edu.om

المستخلص :

ينشد هذا البحث الوقوف على العلاقة بين الفكر واللغة ومدى تأثيرهما وتطويعهما نحو وحدة الأمة في رسالة الإمام نور الدين السالمي ت ١٣٣٢ هـ إلى المجاهد سليمان باشا الباروني ت ١٣٥٩ هـ.

وتكمن مشكلة الدراسة في قلة الاستفادة من رسائل الأئمة الأعلام والتنبه إليها والتوجه نحوها فكرياً ولغة وتطويعها نحو هدفها الأسمى.

ويهدف البحث إلى الاستفادة القصوى من معطيات نحو النص في تحليل رسالة السالمي، الذي أصل فيها لوحدة الأمة.

ويمكن أن نصوص مشكلة البحث في السؤال الرئيس: ما مدى التأثيرين الفكري واللغوي لرسائل الأئمة في وحدة الأمة استناداً إلى معطيات نحو النص؟

وتعتمد الدراسة المنهج التحليلي للوقوف على العلاقة بين اللغة والفكر، وللوقوف على العلاقة بين نحو النص ومقصد النص الأسمى مُتَكِنَةً على المنهج الإحصائي.

ويأتي البحث في تمهيد يشتمل على خطة البحث، وستة مباحث:-

المبحث الأول: اللغة مدخل لتوحيد الأمة. وفيه ستة مطالب.

المبحث الثاني: وحدة الأمة بين العصبية والمذهبية. وفيه ثلاثة مطالب.

المبحث الثالث: جهود السالمي في وحدة الأمة. وفيه أربعة مطالب.

المبحث الرابع: اللغة والفكر. وفيه خمسة مطالب.

المبحث الخامس: آليات التماسك النصي في رسالة السالمي. وفيه ستة مطالب.

المبحث السادس: سيمائية العلامة الإعرابية في جواب السالمي. وفيه عشرة مطالب.

وخاتمة: تشمل أهم النتائج؛ ومنها في الجانب التطبيقي: ورود العطف بالواو (٣٦) مرة في رسالة السالمي، وتنوع الربط بين الاسم والفعل والحرف، ومجيء العطف بالفاء (٩) مرات مع الاسم والفعل والحرف، بينما جاء العطف بالحرف "ثم" مرة واحدة. ولعل كثرة استخدام حرف الواو في العطف يدل على رغبة الشيخ في جمع شمل الأمة؛ لأن الواو تقتضي مطلق الجمع، وقد جاءت الفاء تسع مرات، وهي تدل على الترتيب والتعقيب، ولعلها تدل على رغبة الشيخ في سرعة جمع كلمة الأمة، وجاءت "ثم" مرة واحدة لتدل على خطورة التواني في جمع كلمة الأمة، واستخدام الشيخ "التقديم والتأخير" بوصفه تقنية من تقنيات التماسك النصي مقدماً الأهم على المهم، وتصدير جوابه بـ"نعم"

عدة دلالات، أبرزها أن "نعم" حرف تصديق للكلام، فهي تدل على تصديق السائل أن جمع الأمة ممكن. ووردت الضمائر في الرسالة (١٥) مرة، وقد وردت الضمائر في جواب الشيخ بكثرة، ولعل السبب في ذلك أن الشيخ يرى أن أول أسباب الوحدة أن يتخلى الناس عن المسميات، أو أن تختفي شخوصهم وذواتهم، وأكثر الشيخ من استخدام المقابلات لما تحققه من تماسك نصي، فضلا عن دورها في بيان حال الأمة التي تمتلك كل مقومات الوحدة.

وجاء ترتيب العلامات الإعرابية في رسالة السالمي على النحو الآتي:-

أولاً: الكسرة؛ وقد جاءت إجمالاً مع تنوينها أكثر من (٥٦) مرة.

ثانياً: الفتحة، وقد جاءت مع تنوينها أكثر من (٦٠) مرة.

ثالثاً: الضمة، وقد جاءت مع تنوينها أكثر من (٦٧) مرة.

وقد برهن البحث يقيناً أن الكسرة أقل الحركات انتشاراً وسعة، وبينت صحة الفرض القائل بضيق انتشارها في رسالة السالمي. وهناك ربط واضح بين معجم الألفاظ الدالة على التفرق والكسرة، فقد جاءت الكسرة غالباً في الحقل الدلالي الخاص بالتفرق، وكان افتراض النحاة السابقين المتلخص في أن اختصاص الكسرة بالأسماء دون سواها افتراضاً صحيحاً.

وجاءت الضمة غالباً في الحقل المعجمي الخاص بجمع كلمة الأمة، فالسالمي أحسن توظيف سيمائية علامة الرفع وهي الضمة، فقد ربط بين المفردات الدالة على وحدة الأمة وعلامة الرفع، وقد صح هنا افتراض النحاة القائل: إن الرفع أكثر من السكون، فالضمة قد جاءت مع تنوينها أكثر من (٦٧) مرة، وقد ورد السكون ما يقرب من (٣٦) مرة، وصح الافتراض القائل إن الرفع قبل النصب، وذلك إن قصدوا بالقبليّة سعة الانتشار.

وجاء الفتح في الرسالة مع الألفاظ التي تدل على العمل الإرادي، وظهر في رسالة الشيخ الربط بين الحركة الإعرابية الفتحة وبين الإرادة الصادقة في الوحدة، وكان الشيخ جعل الفتحة التي تصدر عن أفعال إرادية تجيء هنا لتدل من وجهة النظر السيمائية على الوحدة، وكأنها كانت قديماً عن إرادة صادقة. وإن كان النحاة السابقون افترضوا أن الفتحة تدل على أمور منها: أنها ترشد إلى مكان تأثير معين، وتحدد وظائف الكلمات وترفع الإبهام، فيمكن أن نتلمس ذلك بوضوح مع الأفعال الاختيارية الإرادية التي وردت في الرسالة، وهو ما يبرهن على سعة أفق النحاة.

وتكلم السالمي عن عوامل التفرق بمعدل ٢٣٪. وجاءت الأفعال الإرادية في هذه الرسالة في المرتبة الثانية بمعدل ٢٤٪ وهو ما يعني حرص السالمي على وحدة الأمة والإرادة القوية لذلك، فالأمة المهزومة نفسياً لا يمكن أن تصدر قراراً ذاتياً، ولا بد أن تكون تابعة لمستعمر أو محتل، وكذلك الحال بالنسبة للأمة الضعيفة بدنياً، لا طاقة لها بقاء العدو دفعاً أو طلباً. ولعل هذا ما جعل الشيخ يقدم الإرادة

على أسباب التفرق، كما جاءت الضمة التي تمثل أسباب الوحدة ٢٧٪ وهو ما يبين حرص الشيخ على أسباب الوحدة.

وتوصي الدراسة بتوجيه نظر الباحثين النحويين إلى الدراسات السيميائية ذات العلاقة وإلى نحو النص في ضوء اللغة والفكر للوقوف على أفق جديدة تثريّ الدرس النحوي الحديث؛ مما يفتح الباب أمام الباحثين لتقديم أطروحات وبحوث تخدم هذا التوجه بشكلٍ جديٍّ وتربطه بترائه التليد. كما تدعو الدراسة إلى تسليط الضوء على رسائل الأئمة الأعلام.

وتوصي الدراسة أيضا ترسيخا لدعائم الدولة ونبذ الفتنة وصور التكفير بمطالبة الهيئات الدينية والشبابية والاجتماعية وغيرها باستصدار القوانين والتعاميم اللازمة التي تمنع التعرض للمذاهب أو تجريح علمائها أو التنبيه عليهم في المساجد والأماكن العامة ومواقع التواصل وغيرها، وإنما تكون دراسة مسائل الخلاف المسببة للفرقة بين المسلمين والتعرض لها في قاعات البحث من العلماء أولي الأُحلام والنُّهى المتخصصين والدعاة الراسخين أصحاب الحكمة والخبرة والدربة وطول الملايسة، مع مراعاة أدب الحوار في محيط يسعى إلى حسن النية ورأب الصدع وجمع الشمل، والاستفادة القصوى من الخلاف، وتحويله إلى خلاف تنوع بصيغ لغوية يُتَّفَقُ عليها تخرج في بيانات واضحة، مع التماس العذر وتغليب العناية بقضايا المسلمين الكبرى، وتشجيع الدولة كلَّ من يسعى إلى عمل مبادرات من شأنها توحيد الكلمة ووحدة الصف ولم الشَّعَث.

كان البحث قد وُظِّفَ منهج الإحصاء الرياضي مع الاستعانة بنظام الإحصاء الموجود ضمن برنامج (مايكروسفت أوفيس 2013 Microsoft Office) الذي قدم لنا هذه المعطيات الإحصائية.

الكلمات المفتاحية: الرسالة - الإمام السالمي - سليمان باشا الباروني - نحو النص - اللغة والفكر.

تمهيد

شغلت العلاقة بين اللغة والفكر كثيرًا من اللغويين بالبحث والتحليل، ورأى بعضهم وجود تطابق مطلق بينهما، ولا وجود لأفكارٍ لا تستطيع اللغة التعبير عنها، ورأى آخرون أن هناك انفصالًا بين الفكر واللغة، مما يلزم عنه إمكان وجود أفكار لا يمكن التعبير عنها ولا توصيلها إلى الغير، ويعتقد اللغويون أن اللغة والفكر متلازمان تلازمًا مطلقًا، فلا يتأتى التفكير مجردًا من اللغة، ولا اللغة مجردة من غير فكر. فمفردات اللغة هي علامات حسية على الأفكار، وهذه الأفكار هي معناها المباشر، فاللغة هي وسيلة المواصلات للفكر، أو هي التمثيل الطبيعي والخارجي لحالة داخلية، فهي عبارة عن سلسلة من الكلمات عن تفكير كامل.

وتتجلى أهمية نحو النص في النظر إلى النص باعتباره جسمًا متكاملًا لا يمكن فصل أعضائه؛ فالكل أكبر من مجموع أجزائه، والنص كاملًا يقوم بدور لا تقوم به أجزاؤه من جمل ومفردات، كما أن الجسم كاملًا يقوم بوظائف لا يمكن أن تقوم بها أعضاؤه مقطعة، فنحو النص يجعل الوحدة مقصدًا أسمى؛ لفهم النص والتعامل معه بعيدًا عن الاجتزاء.

ويمكن الاستفادة من معطيات نحو النص في تحليل جواب الإمام نور الدين السالمي للمجاهد سليمان باشا الباروني الذي أصل فيه لوحدة الأمة، لنعالج من هذا المنطلق مشكلة البحث الرئيسة وهي: قلة الاستفادة من رسائل الأئمة الأعلام والتنبه إليها والتوجه نحوها فكريًا ولغويًا، وتطويرها نحو هدفها الأسمى في وحدة الأمة وجمع شتاتها، ثم الوقوف على مدى تأثير رسائل الأئمة –على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم- في الألفة والجمع المنشودين لأمتنا.

ويمكن أن نصوغ مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي: ما مدى التأثيرين الفكري واللغوي لرسائل الأئمة في وحدة الأمة استنادًا إلى معطيات نحو النص؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية هي:

١. ما العلاقة بين اللغة والفكر؟
٢. هل تصلح نظرية النظم لقراءة النص مقاصديًا؟
٣. هل يمكن تطويع نسبية اللغة لتلافي الخلافات؟

٤. ما جهود نور الدين السالمي في توحيد الأمة؟ وهل انعكست رؤيته على لغته؟

٥. ما عناصر التماسك النصي في جواب السالمي؟

ويفترض البحث أن من عناصر العربية ما يرمز إلى وحدة الأمة، ويدعو إلى تماسكها، وقد تجلّى ذلك الفرض في بعض مصطلحات اللغة مثل: السبك والحبك، كما يفترض البحث وجود علاقة وطيدة بين اللغة والفكر، ويفترض أن قراءة النص مقاصديًا لا يتحقق إلا بنظرية النظم. ويفترض البحث أيضًا أن الإمام نور الدين السالمي كان يسعى حثيثًا لتوحيد أمته، وقد انعكس ذلك جليًا في جوابه.

وللتحقق من صحة الفروض والوصول لأهداف البحث نعتمد على المنهج التحليلي للوقوف على العلاقة بين اللغة والفكر، وللوقوف على العلاقة بين نحو النص ومقصد النص الأسمى، ولتوضيح العلاقة بين نسبية اللغة والخلاف بين أبنائها، ولبيان مقومات السبك والحبك في رسالة الشيخ السالمي التي يشخص فيها عوامل وحدة الأمة، لتتجلى وحدة النص والدعوة لوحدة الأمة في نص واحد، مما يمزج بين التنظير والتطبيق؛ وذلك لأن فضل الكلام إنما يرجع إلى معناه.

ولعل طبيعة الموضوع تقتضي أن يأتي في ستة مباحث، وتحتها مطالب، يوضحها التقسيم الآتي:-

المبحث الأول: اللغة مدخل لتوحيد الأمة:

المطلب الأول: معنى الرسالة.

المطلب الثاني: ترجمة الإمام السالمي.

المطلب الثالث: ترجمة سليمان الباروني

المطلب الرابع: نص الرسالة.

المطلب الخامس: وسائل وحدة اللغة.

المطلب السادس: جمع الأمة بين نظرية النظم ووحدة النص.

المبحث الثاني: وحدة الأمة بين العصبية والمذهبية.

المطلب الأول: تحرير مصطلحي العصبية والمذهبية.

المطلب الثاني: أسباب تفرق الأمة.

المطلب الثالث: حوار المذاهب.

المبحث الثالث: جهود السالمي في وحدة الأمة.

المطلب الأول: التسامح

المطلب الثاني: عدم تسفيهه المخالف.

المطلب الثالث: الرجوع للأصل الظاهر عند الاختلاف.

المطلب الرابع: التمسك بالكتاب والسنة.

المبحث الرابع: اللغة والفكر.

المطلب الأول: وظائف اللغة وعلاقتها بالفكر.

المطلب الثاني: جدلية العلاقة بين اللغة والفكر من منظور نفسي.

المطلب الثالث: العلاقة بين اللغة والفكر في التراث العربي.

المطلب الرابع: أثر اللغة في الاجتهادات الشرعية.

المطلب الخامس: توظيف النظريات اللغوية في جمع الأمة.

المبحث الخامس: آليات التماسك النصي في رسالة السالمي.

المطلب الأول: حروف العطف.

المطلب الثاني: الشرط.

المطلب الثالث: التقديم والتأخير.

المطلب الرابع: حرف الجواب نعم.

المطلب الخامس: الضمائر الظاهرة.

المطلب السادس: المقابلة.

المبحث السادس: سيمائية العلامة الإعرابية في جواب السالمي.

المطلب الأول: سيمائية العلامة الإعرابية في التراث.

المطلب الثاني: سيمائية العلامة الإعرابية عند المحدثين.

المطلب الثالث: استنباط القواعد السيمائية للضمة.

المطلب الرابع: استنباط القواعد السيمائية للفتحة.

المطلب الخامس: استنباط القواعد السيمائية للكسرة.

المطلب السادس: بيان عددي.

المطلب السابع: الدلالة السيمائية للكسرة.

المطلب الثامن: الدلالة السيمائية للضمة.

المطلب التاسع: الدلالة السيمائية للفتحة.

المطلب العاشر: مقارنة إحصائية سيمائية.

وخاتمة تشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: اللغة مدخل لتوحيد الأمة

إن المدخل الحقيقي لضمان وحدة الأمم لغاتها، واللغة العربية عاصمة لهذه الأمة من التشرذم والتفرق؛ فاللغة أساس من أسس وحدة الأمم^١، ولما كانت اللغة العربية لغة عالمية، تخبو أمامها معظم اللغات الحية، إذ لهذه اللغات نصيب وافر من المفردات^٢ وتراثها تراث لغوي وعلمي ضخم، يشكل رافدًا لإثرائها، الأمر الذي يحفظ للأمة وحدتها ويمنع تفرقها^٣ وقد برز في العربية قديمًا علماء لم يلجؤوا للغة أجنبية تعبر عن علومهم، وتمسكوا بوحدة اللغة التي هي وحدة لأمتهم^٤، مثل الكندي في رسالته^٥، ومن بعده أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠ هـ) صاحب المؤلفات الشهيرة، ومنها كتابه "الصيدنة في الطب" -قال في مقدمته: "والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفتدة،

^١ عبد الحي عمور، أثر اللغة العربية في توحيد الأمة الإسلامية، رئيس المجلس العلمي المحلي لفاس، عمال ملتقيات فرع فاس للجمعية المغربية لحماية اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، ٢٠١١م، ١٢١-١٢٤.

^٢ يوسف عبد الله الجوارنة، أستاذ النحو المساعد -قسم اللغة العربية، جامعة الزرقاء الخاصة - الأردن، أزمة توحيد المصطلحات العلمية العربية.

<https://content.mandumah.com/download?t=555206b46decf2762242ff6014e4311f063f8608&f=HI7xm1WYDGBj>

[Ua%20xaW4Zs/ePiiCBqiczY5AYrGYHsfc=&s=1](https://content.mandumah.com/download?t=555206b46decf2762242ff6014e4311f063f8608&f=HI7xm1WYDGBj)

^٣ عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية، عمان، ١، ١٩٨٧، ص ٢٤٥.

^٤ ومن هؤلاء العلماء علماء مبدعون في شتى العلوم، في الطب والفلسفة والفلك والرياضيات وغيرها، أمثال أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٥٨ هـ)، "فيلسوف العرب"، صاحب الرسالة التي جعلها "في حدود الأشياء ورسومها، ينظر محمد لطفي جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٤٥ هـ، ص ١.

^٥ وهي رسالة جعلت الكندي أول من وضع معجمًا للمصطلحات العلمية، اشتملت على ثمانية وتسعين مصطلحًا فلسفيًا، وهذه المصطلحات الموحدة تضمن وحدة الأمة العربية، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ص ٢٤٧.



وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة...، والهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية"
٦ ، فالأصل أن العربية لغة تجمع الأمة ولا تفرقها.

^٦ الصيدنة في الطب، بتحقيق الحكيم محمد سعيد، كراتشي، ١٩٧٤، ص ١٢. نقلاً عن: عبد الكريم اليافي، دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتية العربية.

المطلب الأول: معنى الرسالة

تحدث العلامة شمس الدين الأنباري صاحب التقريرات المشهورة عن هذه المسألة، فذكر أن كلمة "الرسالة" يجوز أن تكون من الرّسل -بكسر الراء وسكون السين- بمعنى الرفق والتؤدة، فإن ذلك لازم لمعناها، وأيضاً معنى كل ما يلزمه السهولة ولو في الغالب، أو -بفتح الراء- بمعنى السهل من السير، ويطلق على البعير السهل السير، والأنتى بهاء كما في القاموس. وأشار بعضهم إلى أنها في الأصل اسم مصدر "أرسل" ، يقال: أرسل إرسالاً ورسالة -بالكسر والفتح-، ثم استعملت مجازاً في المرسل به، وكثر ذلك بين العلماء فيما كان يرسله إليهم أهل القرى والبوادي في أوراق قليلة أو نحوها من المسائل التي لهم بها شدة عناية لخفاء حكمها عليهم، وفيما كان العلماء يرسلونه إلى أهل القرى والبوادي كذلك من أجوبة تلك المسائل التي للعلماء بها عناية لشدة احتياج أهل القرى والبوادي إليها ثم أطلقوها على كل مؤلفة لطيفة أي مشتملة على مسائل قليلة، وكان ذلك لغرض الإشعار بالقلّة وشدة العناية وتام الاحتياج إلى ما اشتملت عليه تلك المؤلفة حملاً على النشاط في حفظها وتدبرها والحرص عليها.^٧

وما ذكره الأنباري في اشتقاق كلمة "الرسالة" يستقيم مع ما قرره علماء اللغة، فقد جاء في كتبهم: الرّسلُ: القطيع من كل شيء، والجمع أرسال، والرّسلُ قطيع بعد قطيع، والرّسلُ القطيع من الإبل والغنم.^٨ والرّسلُ اللبن.^٩ والرّسلُ الرخاء^{١٠}، وجاء فلان على رسله وتكلم بكذا وكذا على رسله - أي مستهيناً به.^{١١} والإرسال التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم الرّسالة والرّسالة، والرّسول والرّسيل. والرسول: الرّسالة، والمرسل.^{١٢} وسمي الرسول رسولاً؛ لأنه ذو رسول، أي ذو رسالة، والرسول اسم من أرسلت، وكذا الرسالة. وأرسلوا إبلهم إلى الماء إرسالاً أي قطعاً.^{١٣}

وعليه فالرسالة مأخوذة من الرّسل -بكسر الراء أو فتحها-، والمعنى كله يدور حول السهولة واليسر، وهي اسم مصدر للفعل "أرسل".

^٧ حاشية الأنباري على الرسالة البيانية للصّبّان ص ٣٠.

^٨ لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ١٦٤٣ "رس ل"

^٩ المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٤٤، "رس ل"، وغريب الحديث للبروي ج ١ ص ٢٠٦.

^{١٠} الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ج ٢ ص ٢٥٢.

^{١١} غريب الحديث للبروي ج ١ ص ٢٠٦.

^{١٢} لسان العرب لابن منظور ج ٣ ص ١٦٤٤ "رس ل"

^{١٣} المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٤٥.

المطلب الثاني: ترجمة الإمام السالمي

هو الشيخ نور الدين أبو محمد بن حميد بن خميس السالمي ١٢٨٦-١٣٣٢هـ، من أشهر علماء الإباضية المعاصرين، علامة ومحقق وشاعر ومؤرخ عُمانِي، يعد من أبرز شيوخ عُمان في القرن التاسع عشر الميلادي، ولد بقرية الحوقين بالرسّاق، ويكنى بأبي شيبية ويلقب بنور الدين، عُرف بالفقه العميق والعلم الواسع والتأليف الكثيرة القيّمة، من أشهر مؤلفاته كتاب (تلقين الصبيان) في علم الفقه، وكتاب (تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان) في علم التاريخ، ومنظومة في النحو بعنوان (بلوغ الأمل في المفردات والجمال)، وله في علم العقيدة منظومة (أنوار العقول) وله أيضاً (شرح مسند الربيع بن حبيب) وكتاب (شرح طلعة الشمس) وهو من أعظم كتب الأصول وأوقاها، وكتاب (بهجة الأنوار).

وكان من سمت هذا الشيخ أنه يستند في كتاباته الفقهية إلى آراء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة دون تحامل، ويستشهد بروايات الشيخين وأصحاب السنن والدارقطني والطبراني والبيهقي دونما شعور بالحرَج، وهذه مِيزة واضحة لدى كثير من فقهاء هذا المذهب. وللشيخ السالمي موقف مشهور؛ فبالرغم من أنه كان مكفوف البصر إلا أنه قاوم الحماية البريطانية وتحمل في سبيل ذلك السجن والنفي عن موطنه، ولم يكف عن المقاومة حتى توفي وانتهى أمر بريطانيا إلى الجلاء عن عُمان.^{١٤}

المطلب الثالث: ترجمة سليمان الباروني

هو الشيخ أبو الربيع سليمان القاضي بن صالح بن عمر الباروني، ولد في كَبَاو بجبل نفوسة في طرابلس عام ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠م. وتلقّى تعليمه الأوّل في المدارس القرآنية الإباضية بالجبل، اشتهر الباروني بالعلم والصلاح والجهاد، إذ إنه نشأ وتلمذ على يد علماء بلده، وعلى رأسهم عمّ والده عبد الله يحيى الباروني، وانتقل إلى جامع الزيتونة المعمور بتونس، ثم سافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر فتخرّج فيه عام ١٩١٥م، وعاد لوطنه فعُيّن قاضيًا شرعيًا بمحكمة طرابلس، حيث سار في القضاء سيرة حسنة وشهر بالعدالة والنزاهة، حتى حُكي أنها خير خمسين سنة، إذ لم يُطعن في أحكامه قط. وقد عمل في جبل نفوسة وزوارة مُدَّة متفاوتة، وكان إلى جانب العمل بالقضاء يمارس العمل الوطني والوعظ الديني، فكان أول من تحدث في الإذاعة الطرابلسية يوم افتتاحها عام ١٩٣٧م، ثم كان له برنامج صباحي وعظي، وشارك كذلك في الكتابة في صحيفة طرابلس الغرب.

ومن أعماله السياسية أنه اختير نائبًا عن طرابلس في "مجلس المبعوثين" بالآستانة، فاستمر بها إلى أن اعتدى الطليان على طرابلس سنة ١٩١١م، فعاد إليها مجاهدًا، وظل إلى أن أبرم الصلح بين تركيا

^{١٤} الشيخ محمد حسام الدين. نظرات في الفقه الإباضي: تَبْدَة عن المذهب ورجالاته. مجلة الأزهر الشريف. العدد: ٨ المجلد: ٦٣: النسخة 1: رقم التسجيل ١٠٦٣٣٠.

وإيطاليا، فأبى الاعتراف به، وواصل مقاومة المحتلين مدة، ثم انصرف إلى تونس، ومنها إلى الآستانة، فكان فيها من أعضاء "مجلس الأعيان"، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وجهته حكومة الآستانة قائداً لمنطقة طرابلس الغرب.^{١٥}

وللشيخ عدة مؤلفات أهمها: مختصر التاريخ الإباضي، طبع بتونس عام ١٩٣٨م، وله كتاب خاص بشؤون القضاء، وكتابات شعرية وأدبية.

أصيب الشيخ في أخريات حياته بمرض عضال، فسافر إلى الهند للعلاج، حتى جاء نعيه إلى مقر الحكومة السلطانية بمسقط، وكان ذلك يوم ٢٣ من شهر ربيع الأول عام ١٣٥٩هـ الموافق للأول من مايو عام ١٩٤٠م.^{١٦}

المطلب الرابع: نص جواب السالمي موضع الدراسة

قال الإمام نور الدين السالمي: (نعم نوافق أن منشأ التشيبت اختلاف المذاهب وتشعب الآراء، وهو السبب الأعظم في افتراق الأمة على حسب ما اقتضاه نظركم الواسع. وللتفرق أسباب أخرى منها: التحاسد والتباغض، والتكالب على الحظوظ العاجلة، ومنها طلب الرئاسة. وجمع الأمة على الفطرة الإسلامية بعد تشعب الخلاف ممكن عقلاً، مستحيل عادة، وإذا أراد الله أمراً كان (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) الأنفال: ٦٣ والساعي في الجمع مصلح لا محالة، وأقرب الطرق له أن يدعو الناس إلى ترك الألقاب المذهبية ويحضنهم على التسمي بالإسلام (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران: ١٩، فإذا أجاب الناس إلى هذه الخصلة العظيمة ذهب عنهم العصبية المذهبية ولو بعد حين، فيبقى المرء يلتمس الحق لنفسه، ويكون الحق أولاً عند أحاد من الرجال ثم يفسو شيئاً فشيئاً حتى يرجع إلى الفطرة. وهي دعاية الإسلام التي بُعث بها محمد عليه الصلاة والسلام، وتضمحل البدع شيئاً فشيئاً، فيصير الناس إخواناً (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) يونس: ١٠٨، ولو أجاب الملوك والأمراء إلى ذلك لأسرع الناس في قبوله، وكفيتم مؤونة المغرم، وإن تعذر هذا من الملوك فالأمر عسير والمغرم كثير. وأوفق البلاد لهذه الدعوة مهبط الوحي ومرتد الملائكة، ومقصد الخاص والعام، حرم الله الأمن، لأنه مرجع الكل.

^{١٥} - الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢م، ج ١٢٩/٣.

^{١٦} - سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، ١٣٧٦هـ - ج ٢٤٤/٢.

وليس لنا مذهبٌ إلا الإسلام، فمن ثمَّ تجدنا نقبلُ الحقَّ ممن جاءَ به وإنَّ كانَ بغيضًا، ونردُّ الباطلَ على من جاءَ به وإنَّ كانَ حبيبًا، ونعرفُ الرجالَ بالحقِّ، فالكبيرُ عندنا من وافقَهُ، والصغيرُ من خالفَهُ، ولم يشرعْ لنا ابنُ إباضٍ مذهبًا، وإنما نُسبنا إليه لضرورة التمييزِ حينَ ذهبَ كلُّ فريقٍ إلى طريقٍ^{١٧}.

والنظرة الأولى للمتأمل في هذه الرسالة يلحظ بسهولة ويسر أن صاحبها ذا ثقافة إسلامية متماسكة ثابتة الأصول، ومعرفة لغوية عميقة، وإحاطة بتراثنا الإسلامي واستظهار له، مع نظرة فلسفية وفكرية متأملة، وزاد معرفي متنوع، وإني لأخالها قد فُددَ عودُها من العربية بعبقريتها وروعتها وجلالها إلى أن اُكتملتْ اكتمالًا مُذهلاً على النحو الذي تراه وتُبصره.

المطلب الخامس: وسائل وحدة اللغة

اللغة العربية بهذه العبقریات "لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنيّة، وبفضل القرآن بلغت اللغة ذلك الاتساع^{١٨}؛ فالعربية لغة توحد أمة العرب ما لم تدخل عليها لغة تفسد عملها، والأمل معقود على المؤسسات اللغوية في توحيد شمل الأمة.

ومن أبرز تلك المؤسسات:

١- المجامع اللغوية

المجامع اللغوية هي المؤسسات اللغوية التي بإمكانها أن تساعد على توحيد الأمة العربية، فكلّ مجمع منها لجانه المختصة التي تعقد لقاءات دورية؛ إذ كان هذا التوحيد هو القصد الأسمى من انبعاث حركة المجامع والعمل لإعداد لغة قومية شاملة^{١٩}. وكان لمجمع دمشق تطبيق عملي في وحدة الأمة خاصة وأن سورية خرجت من الحرب مثقلة بجرائم سايكس وبيكو، اللذين قسّما تلك البلاد إرثًا بين فرنسا وبريطانيا - فالمجمع خلال الخمسة عشر عامًا الأولى لتأسيسه (١٩٣٤-١٩١٩)، شكّل دورًا مشرقًا في توحيد الأمة عن طريق إحياء اللغة.

^{١٧} الحق الدامغ، الشيخ أحمد بن حمد الخليبي - المفتي العام لسلطنة عمان. الطبعة: الثانية، المطبعة: مطابع دار البعث، البلد: سنطينة، الجزائر، تاريخ النشر: ١٤١٢هـ (١٦/١)

- الشيخ نور الدين السالحي مجيّد أمة ومحيي إمامة. نور الدين أبو محمّد عبد الله بن حميد السالحي (١٢٨٤ - ١٣٣٢هـ / ١٨٦٧ - ١٩١٤م)، المؤلف: مصطفى بن محمد شريقي، دار النشر: جمعية التراث، القرارة، غرداية، ودار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة، طبع: المطبعة العربية، غرداية، البلد: الجزائر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م. (٣٠٢/١)

- الجانب الفكري في المذهب الإباضي لصالح البوسعيدي.

<https://istiqama.info/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%86%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B0%D9%87%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%A8%D8%A7%D8%B6%D9%8A>

^{١٨} أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص ٨.

^{١٩} عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ص ٢١٨.

ويمكن أن تسهم الجامعات في ميادين متعددة تعمل على توحيد الأمة لغوياً، كما يأتي:-

أولاً: تزويد المصالح الحكومية بما تحتاج إليه من مصطلحات فنية.

ثانياً: تلبية رغبات الأفراد والصحف والجمعيات غير الرسمية، بكل ما تطلبه من مفردات فصيحة شريطة أن يراعيها رؤساء الدوائر في معاملاتهم ومراسلاتهم فيستعملوها في كتاباتهم.^{٢٠}

إذن كان لإنشاء الجامعات اللغوية جهود عظيمة، غير أنها ما زالت إلى اليوم مبعثرة^{٢١}، وتبدو ظاهرة تفرق المصطلحات من جانب الأفراد ظاهرة خطيرة^{٢٢}، ومع ذلك فإن مجمع القاهرة اليوم هو المجمع الأكثر نشاطاً من بين الجامعات المتعددة، وقد صدر عنه إلى اليوم اثنتان وأربعون (٤٢) مجلدة تشكل "مجموعة القرارات العلمية والفنية" في مجالات العلوم المتعددة.^{٢٣}

٢- مكتب تنسيق التعريب

تُعنى مكاتب تنسيق التعريب بتنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات الحديثة،^{٢٤} وقد ألحق بعضها بجامعة الدول العربية.^{٢٥}

وكان لمكتب تنسيق التعريب بالرباط خطة واضحة المعالم في إعداد المعجمات الموحدة (٦٩-١٩٨٣)، وقد بلغ مجموع المصطلحات التي تمت المصادقة عليها في خمسة مؤتمرات للتعريب (٧٣-١٩٨٨) مائة وخمسة آلاف وتسعمائة وثلاثة وسبعين (١٠٥٩٧٣) مصطلحاً^{٢٦}، وصدر عن مكتب تنسيق التعريب مجموعة من المعاجم الموحدة المتخصصة^{٢٨}، وثمة معاجم أخرى صدرت بالتعاون مع مؤسسات واتحادات عربية، وإن نظرة فاحصة لهذا الكم الهائل من المعاجم والجهود

^{٢٠} سعيد الأفغاني، من حاضر اللغة العربية، ص ٧٠، ١٠٢.

^{٢١} أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط منهجه، ص ٢٠-٢١.

^{٢٢} المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ص ١٤١-١٤٢.

^{٢٣} انظر المطبوعات التي صدرت عن مجمع القاهرة: الجزء (٤٢) من مجموعة القرارات العلمية والفنية، بعد ص ٣٤٣ آخر.

^{٢٤} موقع مكتب تنسيق التعريب.

<http://www.arabization.org.ma/nachaa.asp>

والمكتب أنشئ في الرباط سنة ١٩٦١ بتوصية من مؤتمر التعريب الذي انعقد في الرباط في ٣-٧/٤/١٩٦١.

^{٢٥} فريد حيدر: (توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (الحوالية ٢٢)، جامعة الكويت، ٢٠٠١، ص ١٤.

^{٢٦} موقع مكتب تنسيق التعريب.

<http://www.arabization.org.ma/nachaa.asp>

^{٢٧} فريد حيدر، توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي، ص ١٧.

^{٢٨} (المصطلح الموحد ومكانته في الوطن العربي)، ص ٨٧-٨٩.

المبدولة في إعدادها وإخراجها، ليدعو الإنسان العربي إلى الفخر والاعتزاز.^{٢٩} وتجدر الإشارة هنا إلى (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) الصادر في بيروت سنة ١٩٨٣م،^{٣٠} الذي ساعد على الخلوص إلى عملٍ نموذج هو أقرب إلى الكمال؛ فقد توصل الفريق إلى مقابلة (٢٦١٢) مصطلحًا من مجموع مصطلحات المعجم البالغة (٢٦٨٧) مصطلحًا بمقابل عربي واحد^{٣١}. ومثل هذا أيضًا (المعجم الموحد لمصطلحات الفيزياء العامة)^{٣٢}. إنَّ الأمل يحدونا بأن تُوحَّد المؤسسات كلها في مؤسسة واحدة، وإذا كانت النظرة إلى قضية وحدة اللغة والأمة تمثل مشروعا قوميا حضاريا لا مندوحة لنا من السعي على النهوض به وإنجاحه؛ فإن المسألة جدّ بسيطة يمكن التوصل معها إلى حلولٍ شافية وسريعة.^{٣٣}

ونخلص من ذلك إلى أن المدخل الأسهل لضمان وحدة الأمم لغاتها، والعربية عاصمة لهذه الأمة من التشرذم والتفرق، وقد برز في العربية قديما علماء لم يلجؤوا للغة أجنبية تعبر عن علومهم، وتمسكوا بوحدة اللغة التي هي وحدة لأمتهم، فالعربية لغة توحد أمة العرب ما لم تدخل عليها لغة تفسدها، والأمل معقود على المؤسسات في وحدة الأمة، وأبرز المؤسسات هي: المجامع اللغوية التي بإمكانها أن تساعد على توحيد الأمة العربية عن طريق: تزويد المصالح الحكومية بما تحتاج إليه من مصطلحات، وتلبية رغبات الأفراد والصحف والجمعيات غير الرسمية. أما مكتب تنسيق التعريب في الرباط، فهو "جهاز عربي متخصص، يُعنى بتنسيق جهود الدول العربية في مجال تعريب المصطلحات الحديثة، والمساهمة الفعالة في استعمال اللغة العربية في الحياة العامة، وكان لمكتب تنسيق التعريب خطة واضحة المعالم في إعداد المعجمات الموحدة، التي تصلح أن تكون منطلقًا من منطلقات وحدة الأمة.

المطلب السادس: جمع الأمة بين نظرية النظم ووحدة النص

إن وحدة الأمة مقصد شرعي ينبغي توظيف المعطيات العلمية والثقافية كافة للوصول إليه، ومن أهم منطلقات وحدة الأمة وحدة اللغة، ولا شك أن التمسك باللغة العربية السليمة استعداداً لهوية الأمة العربية وتراثها... فعوامل الوحدة الأصيلة بين الأقطار العربية من حيث لغتها وعقيدتها بل وحضارتها العربية الإسلامية وتاريخها المشترك.^{٣٤} وقد أنتجت اللغة الفصيحة في عقول أبنائها نظريات يمكن أن تثمر

^{٢٩} (المصطلح الموحد ومكانته في الوطن العربي)، ص ٩١.

^{٣٠} نحو معجم لساني شامل موحد، ص ١٧٣.

^{٣١} فريد حيدر، توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي، ص ٣٦.

^{٣٢} المعاجم الموحدة، موقع مكتب تنسيق التعريب (المعجم رقم ٢)

^{٣٣} فريد حيدر، توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي، ص ٣٤.

^{٣٤} عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني اللغة العربية ووحدة الأمة.

في جمع الشمل، حيث يمكن توظيف نظرية النظم لتحقيق مقصد الوحدة من خلال القراءة الكلية المقاصدية للنصوص العربية، فقراءة النصوص بهذه الطريقة يجمع ولا يفرق.

لقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى النظم بقوله: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض".^{٣٥} فنظرية النظم عند الإمام عبد القاهر وما حملته من مفاهيم الاتساق والانسجام في النظريات اللغوية العربية تدعو لقراءة النص قراءة كلية.

وقد أشار عبد القاهر في ثنايا نظريته إلى البنية السطحية والبنية العميقة وأثرهما في التماسك النصي وهو ما يمكن توظيفه لجمع الأمة؛ حيث إن "النظم ليس هو الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتفق، بل النظم هو ما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى لو وضع مكان غيره لم يصلح".^{٣٦}

فلو رجعنا إلى لسان العرب وجدنا أن ابن منظور عبر عن التماسك بثلاثة مصطلحات مختلفة وهي "الاحتباس والاعتدال والارتباط" وأما عن الجذر (م س ك) فنجده مستعملاً أيضاً بمعنى الحبس، فقد جاء في وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه "بائن متماسك"^{٣٧} أي مترابط ومتناسق البناء^{٣٨} هذا في المعاجم، أما في كتب البلاغة التي هي صاحبة اليد البيضاء في تأصيل هذا الفن فقد وردت مصطلحات عدة للتعبير عن التماسك منها: التعليق والتعلق كما عبر الجرجاني، وكذا السبك والحبك، والاتساق، والنظم والضم وغيرها من المصطلحات المنثورة في كتب البلاغة العربية^{٣٩}

يقول عبد القاهر في بيان مصطلحي التعليق والتعلق: "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض...كتعلق اسم باسم واسم بفعل"^{٤٠} ومن هنا فقد رأى الجرجاني أن الكلام لا يمكن أن يأتي في اللغة العربية مفككاً لا علاقة بين أوله وآخره وسابقه ولاحقه، بل لا بد من العلاقة التي تربط الكلام،

^{٣٥} عبد القاهر الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز: ٤٨.

^{٣٦} عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٤، ٣٥.

^{٣٧} ابن حبان في (الثقات) (١٤٥/٢) واللفظ له، والطبراني (١٥٥/٢٢) (٤١٤).

^{٣٨} ابن منظور، لسان العرب، مادة (مسك)

^{٣٩} ونظراً لما يمثله التماسك النصي من أهمية قصوى في ثقافتنا فقد أولاه علماء اللغة من اللغويين والبلاغيين والمفسرين عناية ببيان مفهومه وأدواته ووسائله، وتطورت تعريفاتهم له تبعاً لتطور نظرتهم للنص، فالنص عبارة عن نسيج مترابط ومنسجم وهو كائن لغوي تسهم في تجلياته الروابط التركيبية والروابط الإحالية والعلاقات الداخلية والعلاقات الخارجية بين النص ومحيطه، وهناك علاقة اشتراط بين التماسك والنص، فالنص لا يكون نصاً إن لم يكن متماسكاً، ولا يمكن أن نحصل على التماسك في غير النص؛ ناصر محمد صالح، التماسك النصي بين التنظير والتطبيق، رسالة دكتوراه جامعة اليرموك، كلية الآداب، ٢٠٠٩.

^{٤٠} عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ٤٦.

وهذه العلاقة تكون نابعة من المعنى لا من النص^{٤١} كل هذه المصطلحات تسعى لقراءة النص قراءة كلية شاملة دون اجتزاء أو تحريف للمعنى، وهذا التوجّه بلا ريب يزيل كثيراً من الخلاف؛ لأن معظم الخلافات تكون لفظية بسبب الاجتزاء أو سوء الفهم كما أشار ابن القيم. "وأكثر اختلاف الناس من جهتين: إحداهما اشتراك الألفاظ وإجمالها، والثانية من جهة الإطلاق والتفصيل"^{٤٢}.

ومن الجرجاني إلى الجاحظ الذي أصل لمصطلح آخر مهم في هذا الباب، وهو مصطلح (السبك)^{٤٣} وقد ورد هذا المصطلح أيضاً في نصوص لابن منقذ، وقد أورد مصطلحاً آخر مهمّاً وهو مصطلح (الحبك) فقال في نص بديع "خير الكلام المسبوك المحبوك يأخذ بعضه برقاب بعض"^{٤٤} وقد تطور هذا المصطلح إلى الانسجام عند ابن أبي الإصبع المصري^{٤٥}.

ومن هنا يتبين لنا أن علماء العربية قد سبقوا في تأصيل هذا الفن، وإن اختلفت مسمياتهم ما بين: التعليق والتعلق، والسبك والمسبوك، والمحبوك والمنسجم، ولا مشاحة في الاصطلاح فهذا فن عربي صرف سبق به علماء التراث، ويمكن أن يصلح لإعادة قراءة التراث في ضوء معطياته.

كما يمكن توظيف مفردات هذه النظرية في وحدة الصف من خلال مراعاة دلالة اللفظ على المعنى، فكل مفردات ومصطلحات النظرية تدعو إلى الوحدة؛ فالصلة بين الدالّ والمدلول صلة وثيقة، وقد تحدث العلماء العرب كثيراً عن هذه القضية، واختلفوا حول أفضليتهما، ولكنهم في النهاية يتفقون على مدى أهمية الالتحام بينهما، ودور السياق في الكشف عن المعنى المراد، فنظرية النظم عند الإمام عبد القاهر الجرجاني قائمة على أن استبدال اسم بفعل، أو فعل باسم، أو حرف بغيره يؤدي إلى تغيير المعنى^{٤٦}.

ولا شك أن من منطلقات جمع الكلمة رعاية حال السامع؛ وهذا ما أشارت إليه النظرية بالاستبدال، وتأكيداً لمراعاة حال السامع ودفع اللبس الذي هو سبب الخلاف الأول يؤكد الجرجاني ما يمكن أن

(٤١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٦٩.

(٤٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تفسير القرآن الكريم، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ، ص (٢٣٩).

(٤٣) إذا يقول "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراراً جيداً، وسبك سبكاً واحداً، فيجري على اللسان كما يجري الدهان. الجاحظ، البيان والتبيين، (٥/١).

(٤٤) ابن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي، الحلبي، ١٩٦٠م، (ص ١٣١).

(٤٥) الذي يقول عن النص الجيد "أن يأتي الكلام متحدراً كتحدّر الماء المنسجم بسهولة، ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق: حنفي شرف، نهضة مصر، ص ١٦.

(٤٦) انظر بحثنا التماسك النصي في حديث الإسراء والمعراج ص ٩.

نسميه بالوظيفة الأفقية (السياقية)^{٤٧}، ويتمثل الجانب الأفقي في تضافر الكلمات فيما بينها؛ لتعطي جملة تفيد بالاتصال، مكونة من مسند ومسند إليه ومتعلقات، وأما النظام العمودي فيبقى الأمر على حاله مع استبدال كلمة بكلمة أخرى^{٤٨}. وسنبين ذلك تطبيقاً في القسم التطبيقي من هذا البحث.

إن وحدة الأمة مقصد شرعي ينبغي توظيف المعطيات العلمية والثقافية كافة للوصول إليه، ومن أهم مسلمات وحدة الأمة: وحدة اللغة العربية السليمة، واستعادة هوية الأمة العربية وتراثها. وتدعو نظرية النظم وما تحمله من مفاهيم الاتساق والانسجام من النظريات اللغوية العربية لقراءة النص قراءة كلية، ونظراً لما يمثله التماسك النصي من أهمية قصوى في ثقافتنا فقد أولاه علماء اللغة عناية عظمى ببيان مفهومه وأدواته ووسائله.

ومن هنا يتبين لنا أن علماء العربية قد سبقوا في تأصيل هذا الفن، وإن اختلفت مسمياتهم فلا مشاحة في الاصطلاح، كما يمكن توظيف مفردات هذه النظرية في وحدة الصف، فكل مفردات ومصطلحات النظرية تدعو إلى الوحدة، وتدعو لقراءة النص قراءة كلية بعيداً عن التفكك، وهو ما يبرز مقصد المتكلم ويبلغه للسامع في أوضح صورة وأكملها، الأمر الذي يجنبنا كثيراً من الخلافات التي لا طائل من ورائها.

المبحث الثاني: وحدة الأمة بين العصبية والمذهبية

المطلب الأول: تحرير مصطلحي العصبية والمذهبية

أولاً: تحرير المصطلح

التعصب لغة: مادة (ع ص ب) في اللغة تدل على النصره بحق أو بباطل^{٤٩}، أما العصبية فقد غلب استخدامها في الباطل "والعَصَبِيَّةُ: أَنْ يَدْعُوَ الرَّجُلَ إِلَى نُصْرَةِ عَصَبَتِهِ وَالتَّأَلُّبِ مَعَهُمْ عَلَى مَنْ يُنَاوِيهِمْ ظَالِمِينَ كَانُوا أَوْ مَظْلُومِينَ"^{٥٠}.

^(٤٧) يقول الجرجاني عن الفصاحة كاشفاً عن دور السياق في النظم: "قد اتضح اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ مجردة من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر" عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٤٨.

^(٤٨) رياض حمود، الخط العمودي والخط الأفقي في اللسانيات الغربية، ص ٦٨.

^(٤٩) مجمع البحرين ومطلع النيرين (معجم لغوي شيعي)، المؤلف: فخر الدين الطريحي (المتوفى: ١٠٨٥ هـ)، الناشر: مكتبة المرتضوي - طهران/ إيران، الطبعة: الثانية - ١٣٦٥ هـ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني (١٢٢/٢)

^{٥٠} لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، دار النشر: دار المعارف، البلد: القاهرة (٢٩٦٦/٤)

أما التعصب اصطلاحاً فله عدة تعريفات وهي: "التعصب المحاماة والمدافعة عنم يلزمك أمره أو تلزمه لغرض"^{٥١}، و"التعصب: عدم قبول الحق عند ظهور دليله"^{٥٢}. و"التعصّب: عدم قبول الحق عند ظهور الدليل من فرط التمادي في الميل والانحياز"^{٥٣}. وهذه التعريفات تتكامل، ولعل أكمل التعريفات وأجمعها وأمنعها ما جاء في المعجم المحيط "التعصّب: عدم قبول الحق عند ظهور الدليل من فرط التمادي في الميل والانحياز"

ثانياً: المذهبية

المذهب لغة: الجذر (ذ ه ب) يطلق في اللغة على مكان الوضوء، ومكان قضاء الحاجة، والمعتقد. "المذهب المتوّصلاً لأنه يُذهب إليه، وفي الحديث أنّ النبي -صلى الله عليه وسلّم- كان إذا أراد الغائط أبعد في المذهب وهو مفعّل من الذهاب، ويقال لموضع الغائط الخلاء والمذهب والمرفق والمرحاض. والمذهب: المعتقد الذي يُذهب إليه. وذهب فلانٌ لذهبه أي لمذهبه الذي يُذهب فيه. وحكى اللحياني عن الكسائي: ما يُدرى له أين مذهب، ولا يُدرى له ما مذهب، أي لا يُدرى أين أصله. ويقال ذهب فلانٌ مذهباً حسناً."^{٥٤}

المذهب اصطلاحاً: المذهب: الطريفة والمعتقد. ويعرف بأنه "مجموعه من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحدة متسقة"^{٥٥}. مذهب الرجل: سيرته، ومذهبه في الدين: اعتقاده.^{٥٦}

^{٥١} مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، المؤلف: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتّي الكجراتي (المتوفى: ١٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، (٦٠٣/٣)

^{٥٢} التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (ص ٨٥)

^{٥٣} المعجم المحيط، المؤلف: أديب اللجبي-شهادة الخوري - البشير بن سلامة-عبد اللطيف عب - نبيلة الرزاز المراجعة والتنسيق: أديب اللجبي-نبيلة الرزاز (٢٢٥٦)

^{٥٤} ابن منظور، لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف، البلد: القاهرة (١٥٢٢/٣)

^{٥٥} المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة (٣١٧/١)

^{٥٦} نشوان، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليميني (المتوفى: ٥٧٣هـ) المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م (٢٢٠٤/٤)

وينقسم المذهب الفقهي إلى قسمين: "المذهب حقيقة" وهو معرفة الأحكام الاجتهادية عن الإمام: "الروايات" و"التنبيهات"، و"المذهب اصطلاحاً" وهو معرفة الأحكام الاجتهادية عن الأصحاب: "التخریجات"^{٥٧}.

واصطلح المتأخرون من فقهاء المذاهب على أن كلمة "مذهب أحمد" مثلاً إذا أطلقت، فلا يقصد بها دائماً ما ذهب إليه الإمام نفسه، بل ما استقر عليه القول وجرت به الفتوى، سواء أكان هو قول الإمام نفسه، أم كان قولاً لأصحابه، أم كان قولاً مخرّجاً معتمداً، فيقولون: المذهب في المسألة كذا، ويقصدون هذا المعنى، من باب إطلاق الشيء على جزئه الأهم، كقوله -صلى الله عليه وسلم-: "الحج عرفة" وذلك لأن الأهم عند الفقيه المقلد هو ما به الفتوى دون غيره.

والمذهب بهذا المعنى الأخير لم يكن معروفاً في زمن الأئمة أصحاب المذاهب المتبوعة، فمالك والشافعي وغيرهما لم يكونوا يعرفون معنى المذاهب، وإنما كانوا ينشرون علم السنة، وفقه الصحابة والتابعين، ولذا قيل: إن نسبة المذهب إلى صاحبه لا يخلو من تسامح.^{٥٨}

وخلاصة ذلك أن مادة (ع ص ب) في اللغة تدل على النصره بحق أو بباطل، أما التعصب اصطلاحاً فله عدة تعريفات أهمها: عدم قبول الحق عند ظهور الدليل من فرط التماسي في الميل والانحياز، أما المذهب الفقهي فينقسم إلى قسمين: المذهب حقيقة: وهو معرفة الأحكام الاجتهادية عن الإمام، والمذهب اصطلاحاً وهو معرفة الأحكام الاجتهادية عن الأصحاب. فالمذهب الفقهي هو ما قاله المجتهد بدليل،

^{٥٧} ابن غييب، المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخریجات الأصحاب، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غييب بن محمد (المتوفي: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار العاصمة - مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجددة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ (٢٢٦/١)

^{٥٨} (فأما المعنى العام للمذهب: فهو مبادئ وأراء متصلة منسقة لعالم أو لمدرسة، ومنه المذاهب الفقهية والأدبية والفنية والعلمية والفلسفية. وأما المعنى الخاص للمذهب: فهو جملة الأحكام التي ذهب إليها إمام من أئمة الفقه الإسلامي، فهو بهذا المعنى اسم للمسائل التي يقول بها المجتهد، والتي يستخرجها أتباعه من قواعده، فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، هو جملة الأحكام التي ذهب إليها الإمام أحمد، أو مجموع المسائل الفقهية التي قال بها الإمام أحمد، وما ألحق بذلك مما خرجه أصحابه على قواعده وأصوله، والجدير بالتنبيه أن الأحكام الفقهية تنقسم قسمين رئيسين: قسم مقطوع به ومجمع عليه، ومنصوص من قبل الشارع صراحة، كوجوب الصلوات الخمس والزكاة والصوم، وتحريم الخمر والسرقه، ونحو ذلك. فهذه ليست محللاً للاجتهاد، وبالتالي، لا يظهر فيها تنازع الأنظار بين المجتهدين قط، وقسم آخر مظنون، تتنازع الاحتمالات مهما تباينت وتفاوتت في درجاتها، وبذلك كان هذا القسم محللاً لتنازع الأنظار، وموطناً للاختلاف والاتفاق، وهذا النوع من الأحكام هو الذي يدور الاجتهاد والاستنباط في نطاقه) المذهب الحنبلي «دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته»، المؤلف: عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، (وصورته - بنفس ترقيم الصفحات - دار عالم الكتب بالرياض، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م) (١٤/١).

ومات قائلاً به، أو ما جرى مجرى قوله أو شملته علته، والأول هو المذهب حقيقة، والثاني هو المذهب اصطلاحاً.

المطلب الثاني: أسباب تفرق الأمة

يمكن من خلال الاستقراء استنباط أسباب تفرق الأمة على النحو الآتي:-

أولاً: الزندقة والطعن في الإسلام من قبل أعدائه

كان الكفر في مكة علانية لأن المسلمين كانوا مستضعفين في الأرض، وبعد أن نصر الله المسلمين، وفتح عليهم البلاد، ومكنهم من العباد، أدرك الزنادقة وأعداء الإسلام أن قوة الإسلام لا تقاوم بعد اليوم، فلبسوا لباس الإسلام غشاً ونفاقاً، وقصدوا بذلك إفساد الدين وإيقاع الخلاف والافتراق في المسلمين، قال حماد بن زيد: وضعت الزنادقة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أربعة عشر ألف حديث^{٥٩}، وهذا بحسب ما وصل إليه علمه واختباره -رحمه الله- في كشف كذبها، وإلا فقد نقل المحدثون أن زنديقاً واحداً وضع أربعة آلاف حديث. فقالوا: لما أخذ ابن أبي العوجاء^{٦٠} ليضرب عنقه قال: "وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل الحرام"^{٦١} ولقد أثر وضعهم في الإسلام أقبح التأثير ففرق بين المسلمين شيعاً ومذاهب، مع أن الإسلام هو الحق الذي لا يقبل الخلاف ولا التعدد.^{٦٢}

ثانياً: التعصب العرقي

بعد أن دخلت الأمم غير العربية في الإسلام ظهرت الشعوبية، وهي نزعة تدعو لتفضيل بعض الأجناس على بعض، والتعصب على أساس العرق واللون، ووصل الحد لنسبة أحاديث كاذبة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومخالفة قول الله عز وجل "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"^{٦٣} وذلك مثل رواية: "دعوني من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه"^{٦٤} فهذا طعن في الجنس الأسود، متناسين أن من

^{٥٩} العقيلي، الضعفاء الكبير: ١/ ٣١.

^{٦٠} ابن أبي العوجاء هذا هو عبد الكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة، زنديق، قتله محمد بن سليمان الهاشي الأمي، لسان الميزان لابن حجر: ٥/ ٢٤٢.

^{٦١} المصدر السابق.

^{٦٢} نادر نمرودي، الروايات الواهية ودورها في فرقة الأمة سياسياً

<https://content.mandumah.com/download?t=502f8c2b0346900ef64ff93e0a94558500fe6472&f=HPRsEXNztxQjNRgtV%206pn8sSumd6kfU2JE%20U9ukzVgM=&s=1>

^{٦٣} الحجرات: ١٣.

^{٦٤} أخرجه العقيلي في الضعفاء: ٥٢٠، وابن أبي حاتم في العلل ٢٣٨٣ كلاهما من طريق خالد بن محمد من آل الزبير، عن أبيه، قال: خرجنا نتلقى الوليد بن عبد الملك، مع علي بن حسين، حتى إذا كنا ببعض الطريق عرض حبشي لركابنا، فقال علي بن حسين حدثني

أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- بلال بن رباح وكان أسود، وكذلك كان عطاء بن أبي رباح - رضي الله عنه-^{٦٥} وهو من كبار علماء مكة.

وتجلت آثار الشعوبية في وضع روايات تمدح السودان وأخرى تدمهم: فمما جاء في مدحهم رواية: "اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة، لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن"^{٦٦} وكذلك منها روايات تحتقر المماليك مثل رواية: "شر المال في آخر الزمان المماليك"^{٦٧} وهذه كلها روايات واهية، قال القاري: كل أحاديث ذم الحبشة والسودان والمماليك كلها لا تصح.^{٦٨}

ولا شك أن مثل هذه الروايات تعمل على تشتيت الأمة وتفرقتها إلى جماعات ومذاهب وأحزاب متناحرة، وتؤدي إلى ظهور قوميات مختلفة يعتز أصحابها بها مستدلين بأدلة واهية، والله تعالى يقول "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"^{٦٩}

ثالثاً: الخلاف السياسي

هو من أهم أسباب الافتراق في الأمة منذ القرون الأولى، وقد كان للخلاف السياسي أثره السيئ على افتراق الأمة في شتى المجالات بما فيها الأحكام الفقهية، ومن صور الخلاف السياسي الخلاف في باب الخلافة والولاية، فإذا نظرنا لأسباب وقوع الفتنة الأولى وهي مقتل الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه- نجد خلافاً سياسياً ضده -رضي الله عنه-، أثير من قبل بعض خصومه^{٧٠} للتشيع عليه

أم أمي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي حاتم قال أبي: «هذا حديث منكر، وخالد مجهول» وقال العقيلي: «وفي هذا المتن رواية أخرى من وجه أيضاً لين لا يثبت»، وقال الألباني: موضوع: السلسلة الضعيفة: ٧٢٧.

^{٦٥} عطاء بن أبي رباح: من سادات التابعين، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو محمد القرشي مولاهم، المكي. قال أبو داود: أبوه نوبي، وكان يعمل المكاتل، وكان عطاء أعور، أشل، أفطس، أعرج، أسود. مات سنة ١١٤، سير أعلام النبلاء: ٨٦ / ٩.

^{٦٦} أخرجها الطبراني في الكبير: ١١ / ١٩٨ من حديث ابن عباس، قال الذهبي: قال ابن حبان باطل فيه عثمان بن عبد الرحمن -راو للموضوعات- عن أبيين: تلخيص الموضوعات: ٥٤٣. وقال الشوكاني: قيل لا يصح في إسناده من لا يحتج به وقد ذكره ابن الجوزي في موضوعاته، الفوائد المجموعة: ١٧٩ وقال السيوطي: لا يصح أبيين يقلب الأخبار وعثمان لا يحتج به اللآلئ المصنوعة: ٤١٠ / ١، وقال الألباني: ضعيف جداً، الضعيفة: ٦٨٧.

^{٦٧} أخرجه ابن عدي في الكامل: ٦ / ٢٦٠، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وأقره السيوطي، اللؤلؤ المصنوع للطرابلسي: ٢٧٣، واللآلئ المصنوعة للسيوطي: ١١٨ / ٢، وموضوعات ابن الجوزي: ٢ / ٢٣٥.

^{٦٨} أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب للحوت: ٣٤٥.

^{٦٩} [الحجرات ١٣].

^{٧٠} عبد الله بن سبأ اليهودي، رأس السبئية من غلاة الزنادقة، وكانت تقول بالوهية علي رضي الله عنه، قيل: كان يهودياً وأظهر الإسلام، وشكل دوراً كبيراً في التحريش بين المسلمين أيام الخليفة عثمان، لسان الميزان: ٤ / ٤٨٣، الأعلام للزركلي: ٤ / ٨٨.

سياسياً، ونزع الخلافة منه، يقول القاضي أبو بكر ابن العربي -رحمه الله- بالنسبة لضربه عمار: "هذا كله باطل سنداً ومنتناً، أما ضرب عثمان لابن مسعود فهو زور وكذب".^{٧١}

وقد أدى الخلاف السياسي إلى التعصب للعواصم التي احتضنت النظم السياسية ووضع أحاديث في فضل الشام كونها مقر الخلافة الأموية، وأحاديث في ذم العراق معقل المعارضة وأنصار علي -رضي الله عنه-، وموطن الثورات المتواصلة ضد الأمويين، فمن هذه الروايات: "إن الأبدال بالشام يكونون، وهم أربعون رجلاً، بهم تسقون الغيث، وبهم تنصرون على أعدائكم ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق".^{٧٢}

بل منها روايات تجعل بعض المدائن من مدائن الجنة وأخرى من مدائن النار، وهي رواية: "أربع مدائن من مدائن الجنة، مكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق، وأما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وأنطاكية وصنعاء"^{٧٣}، وهذا كله إما موضوع أو منكر أو ضعيف، هذه الأحاديث وغيرها مما يزيد الفرقة بين الأمة، بالثناء على بلدان ودم بلدان أخرى، وبإثارة النعرات الجاهلية والعصبية القومية المقيتة. قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: "كل حديث في مدح بغداد أو زمها والبصرة والكوفة ومرو وعسقلان والإسكندرية ونصيبين وأنطاكية فهو كذب"^{٧٤} وقد كان التعصب لهذه المدن فرعاً عن التعصب السياسي، وأدى إلى فرقة الأمة.

رابعاً: التعصب المذهبي

التعصب المذهبي وبال على الأمة، ومن أشد أسباب الفرقة، وقد أدى التعصب المذهبي لوضع روايات كاذبة تمدح مذاهب معينة، أو جماعات معينة، أو تدمها، لحشد الأتباع لكل جماعة أو مذهب، ومن ذلك ما وضعه غلاة المذاهب وجهلتهم من أحاديث في مدح الأئمة الأربعة أو أحدهم أو في ذمهم أو ذم أحدهم، من ذلك: روايات تفاضل بين المذهب الحنفي والشافعي وتطعن في الإمام الشافعي -رحمه

^{٧١} العواصم من القواصم لابن العربي: ٧٨ - ١٠٣.

^{٧٢} أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١ / ٢٨٩، من حديث علي بن أبي طالب وقال: هذا منقطع بين شريح -بن عبيد الحضرمي- وعلي فإنه لم يلقه، وقال الألباني: ضعيف، الضعيفة: ٢٩٩٣.

^{٧٣} أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ١ / ٢٢٠ عن أبي هريرة، وقال هذا حديث غريب من حديث محمد ابن مسلم الطائفي عن الزهري والمحفوظ حديث الوليد بن محمد الموقري. وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين: ٢ / ١٠٦، عن عتبة بن عبد السلمي، نحوه، وقال ابن عدي وهذا منكر لا يرويه عن الزهري غير الموقري، الكامل لابن عدي: ٧ / ٧٣. وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة: ١ / ٤١٩.

^{٧٤} المنار المنيف لابن القيم: ١ / ١١٧.

الله- وذلك مثل رواية: "يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي".^{٧٥}

فهذه الرواية رواها الخطيب عن أبي هريرة مرفوعاً واقتصر على ما ذكره في أبي حنيفة وقال: موضوع، وضعه محمد بن سعيد المروزي البورقي ثم قال: هكذا حدث به في بلاد خراسان، ثم لما ذهب إلى العراق سئل: ألا ترى إلى الشافعي وإلى من تبع له بخراسان؟ فحدث بهذا الحديث وزاد فيه: "وسيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس، فتنته أضر على أمتي من فتنة إبليس".^{٧٦}

فلا شك أن هذه الروايات وضعت نتيجة التعصب المذهبي، كيف لا وهي تفرق بين حنفي وشافعي، وتجعل من الإمام الشافعي فتنة أضر من إبليس، بينما تجعل من أبي حنيفة سراج الأمة؟ وكيف لا وهي توجب موالاته جماعة معينة أو شخص معين؟

ويتضح من ذلك أن من أسباب تفرق الأمة هي الزندقة والظعن في الإسلام من قبل أعدائه، والتعصب العرقي، والخلاف السياسي، والتعصب المذهبي.

^{٧٥} خرج الخطيب في تاريخ بغداد: ٣٠٨/٥، عن أبي هريرة، وقال: ما كان أجراً هذا الرجل -أحد رواته وهو محمد بن سعيد البورقي- على الكذب، وأخرجه ابن حبان في المجروحين ٣/٤٦ عن أنس وقال: من حدث بهذه الأحاديث أو ببعضها يجب ألا يذكر في جملة أهل العلم، وقال الذهبي عن حديث أنس: فيه دجالان، أحاديث مختارة للذهبي: ١١٢، والفوائد المجموعة: ١٨٥.

^{٧٦} الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٣٠٨/٥، وجامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير: ١/١٣٦ إلا أنه ذكر أن الحديث من أحاديث مأمون بن أحمد المروزي.

[٨٥] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي: ١/١٨١.

المطلب الثالث: حوار المذاهب

أولاً: أشهر المذاهب الإسلامية

المذهب هي وجهة نظر المجتهد في المسائل المستحدثة بناء على أصول المذهب، فالمذاهب خلافها خلافٌ بَنَاءً، وهو خلاف تنوع وثوراء، وليس خلاف تضاد، والمذاهب الفقهية كثيرة ومتعددة منها ما اشتهر وكتب له البقاء، ومنها ما لم تدون فيه مراجع خاصة به كمذهب الإمام الليث بن سعد، والإمام ابن جرير الطبري، والإمام الأوزاعي وغيرهم، أما المذاهب المشهورة التي لها ذبوع وانتشار فهي ثمانية مذاهب وهي: المذهب الإمامي والزيدي والمذهب الإباضي والمذهب الظاهري، ومذاهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.^{٧٧}

ثانياً: حوار المذاهب قديماً

قال السيوطي: "اعلم أن اختلاف المذاهب في الملة نعمة كبيرة، وفضيلة عظيمة، وله سر لطيف أدركه العالمون، وعمي عنه الجاهلون... ومن العجب أيضاً من يأخذ في تفضيل بعض المذاهب على بعض تفضيلاً يؤدي إلى تنقيص المفضل عليه وسقوطه، وربما أدى إلى الخصام بين السفهاء، وصارت عصبية وحمية جاهلية، والعلماء منزهون عن ذلك"^{٧٨}، فعرف بذلك أن اختلاف المذاهب في هذه الأمة خصيصة فاضلة لها، وتوسيع في هذه الشريعة السمحة السهلة، فكانت الأنبياء قبل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يُبعث أحدهم بشرع واحد، وحكم واحد، حتى إنه من ضيق شريعتهم لم يكن فيها تخيير في كثير من الفروع التي شرع فيها التخيير في شريعتنا؛ كتحريم القصاص في شريعة اليهود، وتحتم الدية في شريعة النصارى، ومن ضيقها أيضاً: لم يجتمع فيها الناسخ والمنسوخ كما وقع في شريعتنا، ولذا أنكر اليهود النسخ، واستعظموها نسخ القبلة، ومن ضيقها أيضاً: أن كتابهم لم يكن يُقرأ إلا على حرف واحد كما وردت بكل ذلك الأحاديث، وهذه الشريعة سمحة سهلة، لا حرج... ومن ذلك: مشروعية الاختلاف بينهم في الفروع فكانت المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة، كلٌّ مأمور بها في هذه الشريعة، فصارت هذه الشريعة كأنها عدة شرائع بُعث النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بجميعها، وفي ذلك توسعة زائدة لها، وفخامة عظيمة لقدر النبي -صلى الله عليه وسلم-^{٧٩}.

^{٧٧} محمد مصطفى شلي، المدخل في التعريف، من ص ١٢١ - ١٦٤.

^{٧٨} السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، المصدر: الشاملة الذهبية، ص ٢.

^{٧٩} المرجع السابق ص ٤.

ولهذا انتقل كثير من العلماء بين المذاهب بلا حرج، فأبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي رأس الشافعية بالعراق كان أولاً حنفياً، فرأى ما يقتضي انتقاله لمذهب الشافعي، فتفقه على الربيع وغيره من أصحاب الشافعي، وأبو جعفر الطحاوي: كان شافعيًا، وتفقه بخاله المزني، ثم تحول حنفياً، وصنف فيه كتاباً سماه "معاني الآثار"، والخطيب البغدادي الحافظ، أبو بكر، المشهور كان حنبلياً، ثم تحول شافعيًا، وأبو المظفر منصور بن محمد السمعاني كان مالكيًا، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وابن فارس صاحب "المجمل في اللغة". كان شافعيًا كأبيه، ثم انتقل إلى مذهب الإمام مالك، وسيف الدين الآمدي الأصولي المشهور اشتغل أولاً في مذهب الحنابلة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي.^{٨٠}

وصفة القول: إن المذهب هو وجهة نظر المجتهد في المسائل المستحدثة بناء على أصول المذهب، فالمذاهب خالفها خلفاً، وهو خلاف تنوع وثناء، لا خلاف تضاد، والمذاهب الفقهية كثيرة منها ما اشتهر وكتب له البقاء، ومنها ما لم تدون فيه مراجع خاصة به، أما المذاهب المشهورة والتي لها ذبوع وانتشار فهي ثمانية مذاهب واختلافها نعمة كبيرة، وفضيلة عظيمة، وتوسيع في هذه الشريعة السمحة السهلة، ولهذا انتقل كثير من العلماء بين المذاهب بلا حرج.

^{٨٠} السابق، ص ١٣.

المبحث الثالث: جهود السالمي في وحدة الأمة

المطلع على تراث السالمي يجد حرصه على دعوة الأمة إلى الوحدة ونبذ الافتراق والاختلاف، وكيف لا يكون الإمام السالمي ممن يدعو إلى وحدة الأمة، وهو ممن تشرب بالقرآن وأدرك مقاصده، وقد رأى واقع التشتت وما جرّه من ويلات على هذه الأمة، ورأى بأمر عينيه كيف نجح أعداء الأمة في السيطرة عليها، بسبب هذا الواقع الأليم.

ويمكن عرض صور دعوته إلى وحدة الأمة في مطالب هي:-

المطلب الأول: التسامح

نادى السالمي بإلغاء الألقاب المذهبية في سبيل التقريب بين أبناء الأمة؛ ونص كلامه: "وجمع الأمة بعد تشعب الخلاف ممكن عقلاً مستحيل عادة، وإذا أراد الله أمراً كان "لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" والساعي في الجمع مُصلح لا محالة، وأقرب الطرق له؛ أن يدعو الناس إلى ترك الألقاب المذهبية، ويحثهم على التسمي بالإسلام، فإن الدين عند الله الإسلام، فإذا أجاب الناس إلى هذه الخصلة العظيمة ذهب عنهم العصبية المذهبية".^{٨١}

وكلام السالمي يوافق العلماء السابقين فقد قال الشاطبي: "إِنَّ تَعْوِيدَ الطَّالِبِ لَا يَطَّلِعُ إِلَّا عَلَى مَذْهَبٍ وَاحِدٍ، رُبَّمَا يُكْسِبُهُ ذَلِكَ نَفُورًا وَإِنْكَارًا لِكُلِّ مَذْهَبٍ غَيْرِ مَذْهَبِهِ، مَا دَامَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى أُدْلِيَّتِهِ؛ فَيُورِثُهُ ذَلِكَ حِرَازَةً فِي الْإِعْتِقَادِ فِي فَضْلِ أَيْمَةٍ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى فَضْلِهِمْ، وَتَقَدُّمِهِمْ فِي الدِّينِ، وَخَبَرْتَهُمْ بِمَقَاصِدِ الشَّارِعِ، وَفَهُمْ أَغْرَاضُهُ".^{٨٢}

والفرق الإسلامية المنغلقة على نفسها، تمنع -عادةً- أتباعها من الاستماع للعلماء والشيوخ الذين لا ينتمون إليها مهما كانت مرتبتهم، بل إنها تمنعهم من قراءة بعض كتب كبار العلماء الأقدمين، وتُشكِّكهم في علمهم؛ ولذلك نجدهم يعتقدون أنّ الجماعة التي ينتمون إليها لا تخطئ في آرائها واجتهاداتها، ولا تُخطئ فيما تقوم به من أعمال، ويكون عندهم استعدادٌ لتنفيذ أيّ عملٍ يُطلبُ منهم! إن المتقرر عند أهل العلم أن المرء كلما كان أوسع علماً كان أعذر للناس، وهذا ما نشاهده واقعاً معيشاً؛ فضيق العلم والعقل، سريع المؤاخذه، حاضر الاتهام.^{٨٣}

^{٨١} عبد الله بن حميد السالمي، العقد الثمين، ج، ص-١٢٧، الطبعة الأولى.

^{٨٢} الشاطبي، الموافقات، (٢/٢٧٣).

^{٨٣} أحمد المحمدي أحمد، التعصب المذهبي وخطره على الفكر الإسلامي.

وقد عكف المقلدون الذين جاءوا بعد الأئمة على دراسة مذاهبهم ونشرها فقط بدلاً من السير على منهاجها، والاجتهاد كما اجتهد السابقون، حيث كان الخلاف بين طلبة العلم من المتعصبين للمذاهب الفقهية مقصوداً لذاته، ولم يكن الهدف منه كشف الحق وإجلاء الحقيقة كما فعل الأئمة المجتهدون حيث كانوا إذا وقف أحدهم على صحيح من الكتاب والسنة يدع رأيه ويتحول إلى الصواب في هذه المسألة، وكان شعارهم: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا رأيتم في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- خلاف ما أقول فاضربوا به عرض الحائط وخذوا بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.^{٨٤}

ولهذا فرق بعض الفقهاء بين الخلاف والاختلاف، فالخلاف يكون فيما هو مذموم ويؤدي إلى النزاع والمشاحنة، أما الاختلاف فهو محمود، ويعد رحمة للناس لتيسير الأمور عليهم.^{٨٥} وبالجملة فإن الاختلاف الفقهي شجرة طيبة وفروعها متعددة تنمو وتمتد، أصوله البحر الزاخر من أصول التشريع من النصوص، وما أخذ منها من القواعد التي عرفت فيما بعد بطرائق الأئمة في الاستنباط، وكيفية تخريج الفروع الفقهية على أصولها، من لدن الصحابة -رضي الله عنهم- إلى عصر الأئمة، وإلى كل العصور ولهذا كان الاجتهاد هو بذل الوسع في استنباط الحكم الشرعي من الأدلة التفصيلية.^{٨٦}

وصفوة القول: إن المطلع على تراث السالمي لا سيما هذه الرسالة الغراء يجد حرصه على دعوة الأمة إلى الوحدة ونبذ الافتراق والاختلاف عن طريق الدعوة للتسامح، ولهذا نادى السالمي في رسالته بإلغاء الألقاب المذهبية في سبيل التقريب بين أبناء الأمة؛ وكلام السالمي يوافق العلماء السابقين كالشاطبي وغيره.

^{٨٤} مصطفى الزرقاء: المدخل الفقهي العام، (ص ١٧٧)

^{٨٥} الدكتور محمد سلام مذكور، مناهج الاجتهاد في الإسلام، (ص ٨٦)

^{٨٦} الشاطبي، الموافقات (٥١/٥)

المطلب الثاني: عدم تسفيه المخالف

دعا السالمي إلى احترام المخالف، خاصة إذا كان مقلداً، فالمقلد لا يملك أدوات الاجتهاد، فقال مجيباً لسائل سأله عن الأخذ بأقوال العلماء في المختلف فيه، قال: "إذا أخذ الوصي بقول من أقوال المسلمين وعمل به في إنفاذ الوصية فليس لغيره أن يعارضه في ذلك لأنه متعبد في ذلك بخاصة نفسه وهو أمين على دينه".^{٨٧} وفي سؤال آخر ذكر أن جميع أقوال المسلمين صواب وإنما يجب طلب الأعدل والأرجح التماساً للأقرب إلى الحق والأشبه بمعنى النص.

وفي سؤال وجّه إليه حول الأخذ بأقوال المسلمين في مسائل الرأي، قال: "ومن المعلوم أن الأخذ بقول من أقوال المسلمين في مسائل الرأي لا يهلك إذ لو هلك الأخذ لهلك القائل لأن الهلاك لا يكون إلا في الأخذ بالباطل، وهم إنما قالوا ذلك التماساً للهدى وطلب الصواب، حيث عدم الدليل القاطع بأحد المعاني، لكن يجب على العامل أن لا يخالف المبصر للترجيح إذ أفتى بترجيح قول في الأمور العامة كالمعاملات والنكاح والطلاق والبيوع وأشباه ذلك؛ لأنه أنظر للأمة وأبصر بمصالحها".^{٨٨} ويرى السالمي أن التمسك بالدليل والأخذ به هو السبيل إلى الوحدة للترابط فيقول في منظومة جواهر النظام:

والاعتقاد عن دليل قد عُلِمَ... عِلْمٌ وإلا فهو تقليدٌ وُسم

وهو لدينا جائز ويمتنع... إن لم يوافق الهدي الذي شرع ٨٩

وعمل السالمي على إبطال بعض البدع الاعتقادية، كتعظيم بعض الأشياء، واعتقاد أنّها تملك النفع أو الضرر، كشجرة أو عين أو قبر أو مسجد، ويعتبر هذا شركاً بالله، فالنافع الضار هو الله وحده، وأهل الجاهلية مع أنّهم لم يكونوا يعتقدون النفع والضرر فيما يعبدونه من أصنام، وإنّما عبدوها لتقريبهم إلى الله، لم ينفعهم ذلك، وقد حكم عليهم القرآن بالشرك، وما يفعله المسلمون اليوم من تقديس بعض الأشجار والذبح لها وتعليق الجلود علينها أشبه ما يكون بأفعال الجاهليين، إذ كانت لهم شجرة ذات أنواط، وقد أنكرها الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنكاراً شديداً.^{٩٠}

وقد تضافرت المذاهب الإسلامية على إنكار البدع، فالشيعة ينكرون البدع ويقولون: إن أمير المؤمنين عليه السلام ذم البدعة، وأمر بتركها؛ لكونها تعد من خطوات الشيطان، والنهي عن متابعة البدع

^{٨٧} جوابات الإمام السالمي، سلطنة عمان: مكتبة الإمام السالمي، ط ١٩٩٩م، ج ٦، ص ٢٧٥.

^{٨٨} السابق (٣٦٣/٦)

^{٨٩} السالمي، جواهر النظام (٦/١)

^{٩٠} ينظر: العقد الثمين، ١/ ١٦٨ - ١٦٩.

والتنبيه على ضلالها، والأمر بالتجنب عنها لكونها تؤدي بصاحبها ومن يخطو خطاه بالضلالة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (وَمَا أُحْدِثْتُ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكْتُ بِهَا سُنَّةً فَاتَّقُوا الْبِدْعَ وَالزَّمُوا الْمَهْيَعَ إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا وَإِنَّ مُحَدِّثَاتَهَا شِرَارُهَا)^{٩١}

وكذلك حذر من أهل البدعة لكونهم خالفوا أمر الله عز وجل وعملوا برأيهم وما تهوى قلوبهم يقول عليه السلام: أما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله وكتابه ورسوله العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا،^{٩٢} ونرى في كثير من الأحيان سبب وقوع الفتن هو مخالفة كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وهذا بحد ذاته أصل الخذلان وفساد الدنيا والآخرة والذل والهوان، يقول عليه السلام: إنما بدءُ وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالاً.

وصاحب البدعة مشغول بهدم بناء الإسلام، فمن أتاه وعظمه فقد أحبه ونصره وأعانه على عمله، جاء عنه -صلى الله عليه وآله وسلم-: أباي الله لصاحب البدعة بالتوبة قيل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: إنه قد أشرب قلبه من حبها^{٩٣} وقال الإمام علي عليه السلام: من مشى إلى صاحب بدعة فقد سعى في هدم الإسلام.^{٩٤}

وقد وردت آثار تحذر من البدع منها قول عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه، -صلى الله عليه وسلم- وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة؛ فإنها لك بإذن الله عصمة^{٩٥}، وقول الحسن البصري رحمه الله: (لا يصلح قول إلا بعمل، ولا يصلح قول وعمل إلا بنية، ولا يصلح قول وعمل ونية إلا بمتابعة السنة.^{٩٦}

وقول الإمام مالك -رحمه الله-: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- خان الرسالة؛ لأن الله يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون

^{٩١} نهج البلاغة: تحقيق (د. صبحي الصالح)، الخطبة ١٤٥ ذم البدعة، ص ٢٥٤.

^{٩٢} الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق: تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخراسان، ١٣٨٦ - ١٩٦٦م، دارالنعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ج ١، ص ٢٤٦.

^{٩٣} المجلسي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (الأول)، (ت: ١٠٧٠هـ) تحقيق: نمقه وعلق عليه وأشرف على طبعه «السيد حسين الموسوي الكرمانى والشيخ علي بناه الإشتهادي»، محرم الحرام ١٣٩٨، العلمية - قم، بنياد فرهنگ اسلامي حاج محمد حسين كوشانپور، ص ٣٢٨.

^{٩٤} الوافي: الفيض الكاشاني، (ت: ١٠٩١هـ) تحقيق: عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني «العلامة» الأصفهاني، ط ١، أول شوال المكرم ١٤٠٦ هـ ق ١٩ / ٣ / ٦٥ هـ ش، طباعة أفست نشاط أصفهان، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (ع) العامة - أصفهان، ج ١ ص ٢٤٥.

^{٩٥} رواه أبو داود (٢٠٣/٤) (رقم ٦٤١٢)

^{٩٦} رواه اللالكاني في (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (٥٧/١) (رقم ١٨)، وابن بطة في (الإبانة)

اليوم ديناً^{٩٧}. وقول الإمام الشافعي -رحمه الله-: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ^{٩٨}. وقول الإمام أحمد رحمه الله: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والابتداء بهم، وترك البدع، وكلُّ بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال، والخصومات في الدين^{٩٩}.

ونخلص مما سبق إلى أن الإمام السالمي رحمه الله- دعا إلى احترام المخالف، خاصة إذا كان مقلداً، فالمقلد لا يملك أدوات الاجتهاد، ويرى أن التمسك بالدليل والأخذ به هو السبيل إلى الوحدة للترابط عند المجتهد، وقد تضافرت المذاهب الإسلامية على إنكار البدع.

المطلب الثالث: الرجوع للأصل الظاهر عند الاختلاف

وفي مسألة أصولية مهمة يرى السالمي الرجوع للظاهر حال الاختلاف، وعدم صرف النص عن ظاهره بلا قرينة واضحة، فقال في شرح الجامع الصحيح: "فمن تمسك بظاهر كتاب الله عند اختلاف الأمة في حكم أو خبر فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها"^{١٠٠}.

والعدول عن الظاهر إلى التأويل إنما يحتاج إليه عند قيام الدليل على أن إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن، وفي هذا الموضع لم يقد دليل على امتناع نزول المطر من السماء، فوجب إجراء اللفظ على ظاهره"^{١٠١}.

قال الإمام الفخر الرازي: «قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء، قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض المسائل، وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات، فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إليّ كالمتعجب، يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها"^{١٠٢}.

وقال الإمام العز بن عبد السلام: "ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، ومع هذا يقلده فيه، ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة

^{٩٧} الشاطبي، الاعتصام (١/ ٤٩)

^{٩٨} رواه الأصبهاني في (الحجة في بيان المحجة) (١/ ١٩٩)

^{٩٩} أصول السنة، للإمام أحمد (ص ١٤)، ورواه اللالكائي في (اعتقاد أهل السنة والجماعة) (١/ ١٥٦) (رقم ٣١٧)

^{١٠٠} السالمي، شرح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب، ج ١، ص ٦.

^{١٠١} المجلسي، بحار الأنوار، المؤلف: العلم العلامة الحجة فخر، الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي "قدس الله سره" الناشر:

مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان (٣٥١/٥٦).

^{١٠٢} الرازي، مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، (٣١/١٦).

الصحيحة لمذهبه جموداً على تقليد إمامه، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده... حتى ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه... إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال: لعلّ إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهدت إليه، ولم يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكر، وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر، وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم في الأحكام ومسارعتهم إلى اتباع الحق إذا ظهر على لسان الخصم، وقد نقل عن الشافعي -رحمه الله- أنه قال: ما ناظرت أحدا إلا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتبعني وإن كان الحق معه اتبعته" ١٠٣

وقال ابن تيمية: "وليس لأحد أن يحمل كلام الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- على وفق مذهبه إن لم يتبين من كلام الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ما يدل على مراد الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ وإلا فأقوال العلماء تابعة لقول الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ليس قول الله ورسوله تابعاً لأقوالهم" ١٠٤.

"والعدول عن الظاهر لا يكون إلا لدليل خاص" ١٠٥ و"التمسك (بظاهر العموم) أولى لأنه تمسك بظاهر اللفظ فهو أولى من التمسك بكنائيه" ١٠٦ و"ما فيه خلاف والأصح تقديم الأصل" ١٠٧ و"المسائل التي يقدم فيها الظاهر القوي على الأصل أكثر من أن تحصى" ١٠٨ و"ويرجح الظاهر جزماً في مواضع: إن

١٠٣ العزبن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، (١٥٩، ١٦٠/٢).

١٠٤ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (٣٥/٧).

١٠٥ الإيجي، شرح [مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي (المتوفى ٦٤٦ هـ)]، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، وعلى المختصر والشرح/ حاشية سعد الدين التفتازاني (المتوفى: ٧٩١ هـ) وحاشية السيد الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦ هـ)، وعلى حاشية الجرجاني/ حاشية الشيخ حسن الهروي الفناري (المتوفى: ٨٨٦ هـ)، وعلى المختصر وشرحه وحاشية السعد والجرجاني/ حاشية الشيخ محمد أبو الفضل الوراق الجيزاوي (المتوفى: ١٣٤٦ هـ)، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م (٢١١/٢).

١٠٦ الكلؤذاني، التمهيد في أصول الفقه، المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أبو الخطاب الكلؤذاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: مفيد محمد أبو عمشة (الجزء ١ - ٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (الجزء ٣ - ٤)، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (٣٧)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م (١٧١/٢).

١٠٧ الزركشي، المنثور ١/٣٢٤.

١٠٨ ابن القيم، إعلام الموقعين ٣/٢٧٣.

استند إلى سبب منصوب شرعاً^{١٠٩} و"ما فيه خلاف والأصح تقديم الظاهر"^{١١٠} و"يرجح الظاهر على الصحيح إن كان سبباً قوياً منضبطاً"^{١١١}.

وخلاصة ما سبق أن الشيخ السالمي يرى الرجوع للظاهر حال الاختلاف لجمع كلمة الأمة، وعدم صرف النص عن ظاهره بلا قرينة واضحة، فالعدول عن الظاهر إلى التأويل إنما يكون بدليل وقرينة، وقد وافق السالمي أئمة الإسلام كالفخر الرازي، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية وغيرهم.

المطلب الرابع: التمسك بالكتاب والسنة

ومن عوامل وحدة الأمة في فكر الشيخ السالمي التمسك بالسنة النبوية الشريفة فهي تجمع ولا تفرق، وقد قال عند شرحه لحديث افتراق الأمة؛ قال عن الفرقة الناجية: "وهي التي ثبتت على كتاب الله وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- وسنة الخلفاء المهديين عملاً بوصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"^{١١٢} "وقد صحَّ عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "تركتم فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه" فأخبر أنّ في التمسّك بالسنة كالتمسك بأماناً من الضلال، وهذا يقتضي أنها حق ودليل صحيح على الأحكام"^{١١٣}

إن علماءنا السابقين في كل مكان وزمان قد ذكروا أهمية التمسك بالكتاب والسنة قولاً وعملاً، شفهيّاً وتحريراً بعد أن أدركوا خطورة التقليد الشخصي وبدعة التعصب المذهبي، والأئمة المقلدون والمتبوعون من أهل العلم قد حذروا الناس من تقليدهم كما ألزمهم اتباع الكتاب والسنة وتقديمهما على كل قول يخالفهما، وعلى كل رأي يعارضهما، وأوصوا أصحابهم وتلاميذهم بترك أقوالهم المخالفة للنص الثابت، ونصوا على الرجوع إليه من غير توقف وتردد، وأمروا بالأخذ بالدليل الصحيح مهما كان ومع من كان عملاً بمنهج الإسلام الصحيح.

وقد وردت عنهم أقوال متعددة وعبارات متنوعة بأساليب متماثلة وصيغ متقاربة، كلها تدل على منهجهم الصحيح ومسلكهم المستقيم في الأخذ بالحديث الصحيح وترك تقليد الآراء والأقوال المخالفة له، ومن هذه الأقوال: قول الإمام أبي حنيفة: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"^{١١٤} "وقال لأصحابه: "إن

^{١٠٩} السبكي، الأشباه والنظائر ١/١٩.

^{١١٠} الزركشي، المنثور ١/٣١٧.

^{١١١} السبكي، الأشباه والنظائر ١/١٩.

^{١١٢} السابق ص ٦٧.

^{١١٣} الأشقر، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائلها على الأحكام الشرعية، المؤلف: محمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (المتوفى: ١٤٣٠هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م (١/٢٦).

^{١١٤} ابن عابدين، حاشية رد المحتار، لابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، (١ / ٦٧)، وإيقاظ همم أولى الأبصار، للفلاني، (ص ٦٢).

توجه لكم دليل فقولوا به"^{١١٥} وقال الإمام مالك: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"^{١١٦}، وقال الإمام الشافعي: "أجمع الناس على أن من استبانته له سنة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس"^{١١٧} وقال الإمام أحمد بن حنبل: "لا تكتبوا عني شيئاً ولا تقلدوني، ولا تقلدوا فلاناً وفلاناً، وخذوا من حيث أخذوا"^{١١٨}.

وهكذا كان العلماء يُعظّمون نصوص الكتاب والسنة فيقفون عندها ولا يتعدونها، مع سعة علمهم ورجاحة عقولهم، ولم يثبت عن أحد منهم أنه دعا إلى التمهيد بمذهبه أو التعصب لرأيه، بل الثابت عنهم عكس ذلك، وهو ترك التقليد ونبذ التعصب المقيت.

والحق الذي يجب أن يكون عليه المسلم أن يوالي جميع أئمة الإسلام المجتهدين المخلصين في الوصول إلى الحق، ويشيد بفضلهم وعلمهم ونصحهم للدين، ولا يعتقد العصمة، ولا يتخذ من تقليده لواحد منهم وسيلة للتعصب وذريعة للتعنت، وسبيلاً إلى الإفراط في الحب الذي ينحرف به عن الصواب، وطريقاً إلى الغلو في البغض الذي يعدل به عن العدل والإنصاف.

يقول الشنقيطي: اعلم أن موقفنا من الأئمة -رحمهم الله- من الأربعة وغيرهم، هو موقف سائر المسلمين المنصفين منهم، وهو موالاتهم ومحبتهم وتعظيمهم وإجلالهم والثناء عليهم بما هم عليه من العلم والتقوى، واتباعهم في العمل بالكتاب والسنة وتقديمهما على رأيهم، وتعلم أقوالهم للاستعانة بها على الحق، وترك ما خالف الكتاب والسنة منها.

وأما المسائل التي لا نص فيها فالصواب النظر في اجتهادهم فيها، وقد يكون اتباع اجتهادهم أصوب من اجتهادنا لأنفسنا؛ لأنهم أكثر علماً وتقوى منا، ولكن علينا أن ننظر ونحتاط لأنفسنا في أقرب الأقوال

^{١١٥} السابق، (١/ ٦٧).

^{١١٦} ابن عبد البر، الجامع لابن عبد البر ٣٢/٢ وذكره القاض عياض في ترتيب المدارك ١٨٢/١ والقول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عبد الخالق، (ص ٤٢)

^{١١٧} الفلاني، إيقاظ همم أولى الأبصار، للفلاني، (ص ١٠٣)، وإرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، (ص ١٤٣)

^{١١٨} أبوشامة، مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي أبي شامة، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، (ص ٦١)

إلى رضا الله وأحوطها وأبعدها من الاشتباه، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"^{١١٩}، وقال -صلى الله عليه وسلم-: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"^{١٢٠}.
وحقيقة القول الفصل في الأئمة -رحمهم الله- أنهم من خيار علماء المسلمين، وأنهم ليسوا معصومين من الخطأ، فكل ما أصابوا فيه فلهم فيه أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وما أخطئوا فيه فهم مأجورون فيه باجتهادهم معذورون في خطئهم فهم مأجورون على كل حال، لا يلحقهم ذم ولا عيب ولا نقص في ذلك، ولكن كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- حاکمان عليهم وعلى أقوالهم كما لا يخفى، فلا تغل في شيء من الأمر واقتصد، كلا طرفي قصد الأمور ذميم، فلا تك ممن يذمهم وينتقصهم ولا ممن يعتقد أقوالهم مغنية عن كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- أو مقدمة عليهما.^{١٢١}
فحاصل الكلام أنه لا بد من الجمع بين أمرين عظيمين، أحدهما أعظم من الآخر:

الأمر الأول: هو النصيحة لله ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- ولكتابه ودينه، وتنزيه هذا الدين عن الأقوال الباطلة والآراء الخاطئة.

الأمر الثاني: هو معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، فالنصيحة لدين الله توجب رد بعض أقوالهم وترك جملة من اجتهاداتهم المخالفة للكتاب والسنة، وليس في ذلك تنقص لهم ولا إهدار لمكانتهم، وكذلك فإن معرفة فضل الأئمة واحترام جهودهم لا يوجبان قبول كل ما قالوه، فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل حاصل بينهما؛ **الطرف الأول:** القول بعصمة الأئمة والاعتقاد بأنهم لا يخطئون، وقبول جميع أقوالهم، ولو خالفت الحق وعارضت الصواب، **والطرف الثاني:** تأثيم الأئمة والوقية بهم، وإهدار جميع أقوالهم ولو وافقت الحق وحالفت السداد، ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للإسلام، وإنما يتنافيان عند أحد رجلين: جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم، أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله -صلى الله عليه وسلم-.^{١٢٢}

^{١١٩} الترمذي، السنن، لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبي عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث: (٢٥١٨)، (٦٦٨/٤)، وقال: "هذا حديث صحيح".

^{١٢٠} البخاري، الجامع الصحيح المختصر، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: (٥٢)، (٢٠/١)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم الحديث: (١٥٩٩)، (١٢١٩/٣).

^{١٢١} الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، (٣٥٧/٧).
^{١٢٢} ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، لتقى الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، (٩٤-٩٥)، وإعلام الموقعين، لابن القيم، (٣/٢٩٥).

ودين المسلمين مبنيٌّ على اتباع كتاب الله وسنة نبيه وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول، وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون.^{١٢٣}

وأعجب من هذا أن أئمتهم نهوهم عن تقليدهم فعصوهم وخالفوهم، وقالوا: نحن على مذاهبهم، وقد دانوا بخلافهم في أصل المذهب الذي بنوا عليه، فإنهم بنوا على الحجة، ونهوا عن التقليد، وأوصوهم إذا ظهر الدليل أن يتركوا أقوالهم ويتبعوه، فخالفوهم في ذلك كله، وقالوا: نحن من أتباعهم، تلك أمانيتهم، وما أتباعهم إلا من سلك سبيلهم، واقتفى آثارهم في أصولهم وفروعهم، وأعجب من هذا أنهم مصرحون في كتبهم ببطلان التقليد وتحريمه، وأنه لا يحل القول به في دين الله، ولو اشترط الإمام على الحاكم أن يحكم بمذهب معين لم يصح شرطه ولا توليته، ومنهم من صحح التولية وأبطل الشرط، وكذلك المفتي يحرم عليه الإفتاء بما لا يعلم صحته باتفاق الناس، والمقلد لا علم له بصحة القول وفساده؛ إذ طريق ذلك مسدودة عليه، ثم كل منهم يعرف من نفسه أنه مقلد لمتبوعه لا يفارق قوله، ويترك له كل ما خالفه من كتاب أو سنة أو قول صاحب أو قول من هو أعلم من متبوعه أو نظيره، وهذا من أعجب العجب.^{١٢٤}

فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعرفه أن يبينه للأمة، وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة، فإن أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- أحق أن يعظم ويقتدى به من رأي أي مُعَظَّم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم على كل مخالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد، لا بغضاً له، بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم، لكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق، فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره، فأمر الرسول أولى أن يقدم ويتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفوراً له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بخلافه.^{١٢٥}

يقول ابن رجب -رحمه الله -: "وها هنا أمر خفي ينبغي التفتن له، وهو أن كثيراً من أئمة الدين قد يقول قولاً مرجوحاً، ويكون مجتهداً فيه، مأجوراً على اجتهاده، موضوعاً عنه خطؤه فيه، ولا يكون

^{١٢٣} المرجع سابق، (١٦٤/٢٠).

^{١٢٤} ابن القيم، علام الموقعين، (١٤٤٠/٢).

^{١٢٥} الفلاني، إيقاظ الهمم، (ص ٩٣).

المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة؛ لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله، بحيث إنه لو قاله غيره من أئمة الدين، لما قبله، ولا انتصر له، ولا والى من وافقه، ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه، وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق، وإن أخطأ في اجتهاده، وأما هذا التابع، فقد شاب انتصاره لما يظنه الحق إرادة علو متبوعه، وظهور كلمته، وأن لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسياسة تقذح في قصد الانتصار للحق، فافهم هذا، فإنه مهمٌ عظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.^{١٢٦}

وخلاصة ما سبق أن الإمام السالمي -رحمه الله- يرى أن من عوامل وحدة الأمة التمسك بالسنة النبوية الشريفة فهي تجمع ولا تفرق، وقد قال عند شرحه لحديث افتراق الأمة قال عن الفرقة الناجية "وهي التي ثبتت على كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وبهذا يتفق السالمي مع علماء المذاهب في كل مكان وزمان؛ فقد ذكروا أهمية التمسك بالكتاب والسنة قولاً وعملاً، وقد حذر السالمي من التعصب المذهبي لأنه معولٌ هدم في لوحدة الأمة، وقد وافق السالمي أئمة الإسلام كالفخر الرازي، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية وغيرهم.

^{١٢٦} ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، (٢٦٧، ٢٦٨/٢)

المبحث الرابع: اللغة والفكر

المطلب الأول: وظائف اللغة وعلاقتها بالفكر

عُرِّف التفكير بأنه: سلسلة من النشاطات الذهنية العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لبعض الأحداث والمواقف التي تُنقل إليه عن طريق الحواس الخمس.^{١٢٧}

وعُرِّفت اللغة بأنها: أصواتٌ يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم.^{١٢٨} وقيل أيضاً: إنها نظامٌ صوتي يتفق عليه مجتمعٌ ما بهدف التفاهم والتواصل؛ حتى يحققوا ما يريدون.^{١٢٩}

إن الغموض الذي يكتنف العملية العقلية أثناء التفكير وعملية الإفهام والتفهم بواسطة اللغات انتقل إلى طبيعة العلاقة بين هذين العنصرين الجوهريين عند الإنسان، والتأثر والتأثير بينهما، وهل السلطة للتفكير على اللغة؟ أو اللغة على التفكير؟ هل اللغة تصنع الفكر وتؤثر فيه؟ أو أن الفكر هو الحاكم على اللغة؟ أو أنهما شيء واحد؟^{١٣٠}

وظائف اللغة:

١. الوظيفة الانفعالية: وهي التي يعبر فيها المرء عن مشاعره وعواطفه وأفكاره مستخدماً الرموز اللغوية في نقل تلك المشاعر والعواطف والآراء.
٢. الوظيفة التأثيرية: وهي التي يهدف الكاتب أو المتحدث من ورائها إلى التأثير في عقول الآخرين المستقبليين لاعتناق مبدأ، أو تحقيق رغبة، أو العدول عن ممارسة عمل وتجنبه...إلخ.

^{١٢٧} العتوم، مهارات في اللغة والتفكير ص٥٢، وانظر تعريفات أخرى للتفكير في: علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق للدكتور عدنان العتوم ص٢١٣.

^{١٢٨} ابن جني، الخصائص ٤٤/١.

^{١٢٩} رافع الزغول مهارات في اللغة والتفكير ص١٩، وعلم النفس ص٢٢١، ٢٢٢. والحقيقة أن هناك اختلافات واسعة في تحديد المراد باللغة؛ وذلك بسبب الحقل الذي تُعَرَّف فيه، فاللغويون يركزون على الرموز اللغوية المنطوقة، في حين نجد علماء الاجتماع يركزون على وظيفة اللغة التفاعلية الاجتماعية، فيما يركز علماء النفس اللغوي على العمليات النفسية المرتبطة باللغة ومراحل الاكتساب والإنتاج الدلالي. يراجع كتاب: علم النفس المعرفي للدكتور رافع الزغول والدكتور عماد الزغول ص٢٢١.

^{١٣٠} أثر اللغة في التفكير (دراسة أصولية). يحيى بن حسين الظلي

٣. الوظيفة النسبية: وهي التي يمارس فيها المرسل اللغة في ضوء المجموعة المستهدفة، فيكيف لغته وفقاً لمستوياتها الثقافية، ويغير في أساليبه وطرائقه تحقيقاً للأهداف المبتغاة.
٤. الوظيفة الـ(ما وراء لغوية): وهي التي لا تقف على ما بين السطور، وإن ما ترمي إلى تعرف ما وراء السطور وإدراك الغايات البعيدة التي يرمي إليها الكاتبون أو المتحدثون.
٥. الوظيفة الشعرية: وهي التي تركز على جمالية الرسالة اللغوية مبنًى ومعنى، بغية إثارة إعجاب القارئ أو المستمع ببعض مواطن الجمال فيما ينقل إليه.
٦. الوظيفة الاستمرارية: وهي التي تُعنى بجعل الصلة مستمرة بين المرسل والمستقبل من جهة، وبين الأجداد والآباء والأبناء والأحفاد ماضياً وحاضراً ومستقبلاً من جهة أخرى^{١٣١}.
- وتجدر الإشارة إلى أن في ترتيب هذه الوظائف من حيث الأهمية ترتيباً تنازلياً صعبة، لأن ثمة ارتباطاً بينها يتعذر فصله، فالتعبير كما يرى الفيلسوف (جون ديوي) ما هو إلا ضرب من التواصل، فاللغة أداة اجتماعية وسبيل للتفاهم يشارك الفرد بوساطتها الآخرين في مشاعرهم وأفكارهم، وحين ينظر إليها على أنها وسيلة المرء للحصول على المعلومات أو عرض ما تعلمه فقط فإنه يفقد هدفها الاجتماعي^{١٣٢}.

ومهما يكن من أمر النظر إلى أهمية كل وظيفة من وظائف اللغة، فإن وظيفة التعرف أو التفكير تجيء في طبيعة هذه الوظائف، إذ لا يمكننا أن نتصور لغة من غير فكر، ولا فكراً من غير لغة.

قال علماء النفس السلوكيون: إن اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، فجون واطسون يرى ألا تمييز بين اللغة والفكر، فالتفكير نوع من الكلام الداخلي، وسكينر يعدّ التفكير واللغة نوعين من السلوك البشري لا يجوز التمييز بينهما. ويتبنى مؤسس اللسانيات البنيوية فردناند دوسوسير موقفَ الاتصال من منطلق مختلف، فالفكر دون اللغة، في نظره، ليس إلا كتلة غير متشكلة لسانياً ولا مميزة، يقول دوسوسير: "لقد وقع إجماع الفلاسفة واللسانيين على أننا نكون عاجزين بغير الاستعانة بالدلائل اللسانية، عن التمييز بين فكرتين بكيفية واضحة وثابتة، فالفكر في ذاته ليس سوى سديم ليس فيه بالضرورة شيء محدد، فليس هناك معانٍ وأفكار قد سبق وضعها، ولا وجود لشيء متميز قبل ظهور اللسان... ويمكن أن نشبه اللسان بوجهي ورقة نقود، فالوجه هو الفكر، والظهر هو الصوت ولا يمكن أن نحدث قطعاً

^{١٣١} Wiley and son N.Y P 350-347. . T.A: Style in language.Sebook

^{١٣٢} محمد ناصر-قراءات في الفكر التربوي-وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٧ ص ٦٠٥.

في وجه الورقة دون أن نقطع في نفس الوقت ظهرها، وهكذا الحال مع اللسان، لا يجوز أن نعزل الصوت فيه عن الفكر ولا الفكر عن الصوت.^{١٣٣}

تأثير اللغة في الفكر:

مَثَّلته في النصف الأول من القرن العشرين فرضية سابير وورف يقول وورف: "نحن نقطع الطبيعة، وننظمها عبر المفاهيم، ونضفي عليها المعاني كما اعتدنا أن نفعل، لأننا أطراف في اتفاق يهدف إلى تنظيم الطبيعة بهذه الطريقة". ثم بلورته بعد نظريات سوسيلسانية ومدارسُ تداولية.

إن الفكر قائم على أساس اللغة متجادل معها، فبظهور اللغة أصبحت الكلمات تحل محل الأشياء وتثير من الاستجابات الفزيولوجية ما كانت تثيره الأشياء، ومن ثم يكون الإنسان قد ابتدأ في اكتساب خاصية التجريد كمرحلة أولى في المعرفة ماضيًا نحو التعميم كمرحلة ثانية في النمو الفكري على أن تنشأ بعدها المدركات العقلية والمفاهيم والصور الذهنية، ثم المقارنة وإصدار الأحكام والافتراض واستخراج القوانين واكتساب اللغة إن تم في أوانه فإنه يظل مفتوح الأفق قابلاً للتجديد والإغناء وكذا الفكر أو ما يسمى بالوظائف العقلية العليا، فإنها وإن كانت تقوم على أسس فيزيولوجية فطرية هي المراكز المُخَيَّة فإن هذه الاستعدادات الفطرية لا يمكن أن تتبلور إلا في احتكاكها بالمحيط الثقافي والاجتماعي، ومن خلال نوعية هذا الاحتكاك يتحدد مستوى تلك الوظائف العقلية العليا أو ما يسمى بالذكاء. إذن فاللغة ثم الفكر يستندان إلى استعداد فيزيولوجي فطري ثم إلى أساس اجتماعي بالضرورة، والاثتان معًا وحتماً، وعند انتفاء الشرط الاجتماعي يتعطل اكتساب اللغة وتندحر الوظائف العقلية العليا كما تشهد بذلك ظاهرة الأطفال المتوحشين، وفي علاقة اللغة بالفكر يلاحظ علماء النفس السوفييت أن فقدان اللغة عند الصمِّ البكم يؤدي إلى عجزهم عن عمليتي التجريد والتصميم، ويؤدي بالتالي إلى عدم تطور النشاط العصبي الأعلى (الذكاء).^{١٣٤}

التفكير إذن سلسلة من النشاطات الذهنية العقلية التي يقوم بها الدماغ، واللغة أصواتٌ يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم، وتتخلص وظائف اللغة في الوظائف الانفعالية والتأثيرية والنسبية والماوراء

¹³³ F.DE SAUSSURE. Cours de linguistique generale/ed payot PARIS (1983) P155.

^{١٣٤} مصطفى بنان، اللغة والفكر

لغوية، والشعرية، الاستمرارية. وفقدان اللغة عند الصم والبكم يؤدي إلى عجزهم عن عمليتي التجريد والتصميم وإلى عدم تطور النشاط العصبي الأعلى.

المطلب الثاني: جدلية العلاقة بين اللغة والفكر من منظور نفسي

إن أشهر حقلٍ معرفي اشتغل بالجواب عن هذه الأسئلة الملحة، هو علم النفس المعرفي، وذلك عند تناولهم للتفكير وبناء اللغة عند الإنسان، وقد تعددت وجهات النظر التي تفسر العلاقة بين اللغة والتفكير، وأشهرها ثلاثة توجهات هي:-

التوجه الأول: أن اللغة والتفكير شيء واحد، فالتفكير هو اللغة الداخلية التي يستعملها العقل، بينما تظهر هذه اللغة في صورة خارجية عندما تتجلى في الكلام المنطوق، وبناءً على هذا التوجه لا ينفك التفكير عن لغة المتفكر، فاللغة في صورتها الخارجية هي الكلمات والأصوات، بينما في صورتها الداخلية هي التفكير.^{١٣٥}

التوجه الثاني: أن التفكير يسبق اللغة ويؤثر فيها، فلا توجد لغة بدون تفكير، ولكن يوجد تفكير بدون لغة، وهذا يعني أن اللغة مفتقرة للتفكير لا العكس، فاللغة لا تؤثر في التفكير.^{١٣٦}

إن الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك) يرى أن الفكر ينشأ أولاً ثم تأتي اللغة بعد ذلك لتجسده، في حين يرى الفيلسوف الفرنسي (كونديباك) أن عملية التفكير نفسها مستحيلة من غير اللغة ورموزها، إذ لا معرفة من غير تحليل، ولا تحليل من غير رموز لفظية.^{١٣٧}

التوجه الثالث: أن العلاقة بين التفكير واللغة علاقة تفاعل وتكامل، فبينهما تأثير وتأثير متبادل، رغم أن التفكير سابق على اللغة، إلا أن اللغة تؤثر فيه لاحقاً.^{١٣٨}

والحقيقة أنه لا يمكن الفصل بأي صورة من الصور بين اللغة والفكر، إذ لا معنى لفكر من غير لغة، ولا للغة من غير فكر.

فنحن نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء، ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا، ونُظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة. ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل

^{١٣٥} جون أندرسون، علم النفس المعرفي وتطبيقاته ص ٤٧٩.

^{١٣٦} العتوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

^{١٣٧} زكي نجيب محمود- تجديد الفكر العربي- دار الشروق- الطبعة الثانية- بيروت ١٩٧٣ ص ٢١٠.

^{١٣٨} جون أندرسون، علم النفس المعرفي وتطبيقاته ص ٤٨٤.

والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور لدى الأفراد من حيث هم أفراد أيضاً.^{١٣٩}

وهل يأتي الفكر قبل اللغة أم أن اللغة تسبق الفكر؟

وهذا ما كان قد أشار إليه عالم النفس الروسي (فيجوتسكي) من قبل في كتابه (علم نفس اللغة)^{١٤٠} عندما نبه على الارتباط الوثيق بين الفكر واللغة، إذ إن الكلمة الخالية من المعنى ليست إلا صوتاً أجوف، ولا تعد كلمة، ومعنى الكلمة ليس إلا تعميماً أو مفهوماً، والتعميم والمفهوم هما من أكثر وظائف الفكر خصوصية، وإن علاقة الفكر بالكلمة هي أولاً وقبل كل شيء عملية عقلية، وليست شيئاً محسوساً، فهي انتقال وسير من الفكر إلى الكلمة، ومن ثم انتقال من الكلمة إلى الفكر الذي تحمله في الوقت نفسه.^{١٤١}

وعليه يتضح أن أشهر حقل معرفي اشتغل بالجواب عن هذه الأسئلة الملحة، هو علم النفس المعرفي. وقد تعددت وجهات النظر التي تفسر العلاقة بين اللغة والتفكير، وأشهرها ثلاثة توجهات: التوجه الأول: أن اللغة والتفكير شيء واحد. التوجه الثاني: أن التفكير يسبق اللغة ويؤثر فيها. التوجه الثالث: أن العلاقة بين التفكير واللغة علاقة تفاعل. والحقيقة أنه لا يمكن الفصل بأي صورة من الصور بين اللغة والفكر، إذ لا معنى لفكر من غير لغة، ولا للغة من غير فكر.

^{١٣٩} طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، مطبعة المعارف ومكتبتها، القاهرة ١٩٣٨.

^{١٤٠} Rinehart 1966.،Vigotsky. L.S: «Thought and speech»- in saporta sol «psycho- linguistics » holt

^{١٤١} إدوارد دي بونو-تعليم التفكير-ترجمة عادل عبد الكريم ياسين وآخرين-مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- الكويت ١٩٨٩ ص٦٢.

المطلب الثالث: العلاقة بين اللغة والفكر في التراث العربي

إن أقدم طرحٍ علمي حاول ربط اللغة بالفكر وبيّن احتياج العقل إلى اللغة العربية وتأثيرها فيه هو طرح الإمام اللغوي أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)^{١٤٢} عندما حاول ربط المنطق باللغة، بحيث يكون لكل لغة منطقها الخاص بها، وبذلك لا نحكم على العقل العربي بمنطق يونان، بل بمنطقه العربي، وكان ذلك خلال مناظرته للمنطقي أبي بشر مثنى بن يونس (ت ٣٢٨هـ) ويمكن تلخيص موقف السيرافي من هذه القضية في ثلاث مقدمات هي:-

المقدمة الأولى: المنطق وضعه رجلٌ من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم، ولم يضعه العرب على لغتهم واصطلاحهم^{١٤٣}، **المقدمة الثانية:** الانصراف للغة العربية ومعانيها وعلومها يغني عن منطق يونان؛ لأن من استغنى عن لغة قوم استغنى عن منطقتهم^{١٤٤}، **المقدمة الثالثة:** التلازم بين المنطق واللغة، أو بعبارة أخرى التلازم بين العقل ولغة العاقل، فبين العقل واللغة علاقة تأثر وتأثير^{١٤٥}. ويتجلى نقد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) للمنطق الأرسطي في أنه جعل اللغة العربية آلةً بديلةً للتفكير المنطقي، فهي تصنع المعاني والأفكار وتحملها، ولا تقتصر وظيفتها على نقل هذه الأفكار فقط، ومن أتقن هذه اللغة فقد عصم ذهنه عن الخطأ في الفكر، وقد قدم ذلك من خلال منطق النحو في مناظرته الشهيرة.

ولا عجب أن نجد ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) يحتفي بنقد السيرافي للمنطق الأرسطي؛ فإنه مؤيد لموقفه من المنطق واللغة العربية، حيث يرى أن العربي تميز بقوة العقل، وقوة المنطق، وحدة الذكاء والفهم، وكل ذلك راجعٌ إلى تمام اللسان العربي وكماله، وهو ما يجعل الحاجة داعية إلى تعلم اللغة العربية لا المنطق الأرسطي^{١٤٦}.

^{١٤٢} أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، نحوياً أدرباً ومتكلم مشهور، من مؤلفاته: الإقناع في النحو، وشرح كتاب سيبويه، والبلاغة، وصناعة الشعر، توفي سنة ٣٦٨هـ وله ٨٤ عاماً.

^{١٤٣} السيوطي، صون المنطق والكلام ص ٢٣٦. ينقل جلال الدين السيوطي عن الإمام الشافعي قوله: "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركبهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس" صون المنطق والكلام ص ٤

^{١٤٤} صون المنطق والكلام ص ٢٤٩ تطور المنطق العربي ص ١٦.

^{١٤٥} ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٦٦، ٢٦٧ صون المنطق والكلام ص ٢٥٠.

^{١٤٦} ابن تيمية الرد على المنطقيين ٢٢٠، ٢٢١.

وكتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) المرجع الأول في النحو العربي ليس مجرد قواعد لتعليم النطق السليم والكتابة الصحيحة باللغة العربية، ولكنه قبل ذلك قوانين للفكر داخل هذه اللغة، وهو ما يسوغ لنا أن نسمي النحو بمنطق العربية.^{١٤٧}

وفي هذا السياق قد يصح لنا أن نستشهد بنظرية المعنى عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، التي ربط فيها الفصاحة بالمعنى والعقل دون اللفظ والنطق، فالفصاحة محلها الفكر والعقل، وهذا يجعل اللغة العربية متداخلةً جدًّا مع التفكير، فالعقل هو الذي يُصنع فيه المعنى والفصاحة، فتحصل قضية التأثير والتأثير التي أشرنا إليها آنفًا، وهذا ربطٌ ظاهر بين اللغة العربية والعقل أو التفكير، فكلما كانت المعاني فصيحة وعالية كان التفكير عميقًا وعاليًا أيضًا.^{١٤٨}

إن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) امتدادًا لتلك المدرسة النحوية العربية -مدرسة السيرافي (ت ٣٦٨هـ)- التي تعتبر النحو العربي منطقيًا للغة العربية، وقانونًا للفكر داخل هذه اللغة، بينما تعتبر المنطق الأرسطي نحوًا للغة اليونانية، رافضةً الفصل بين اللغة العربية والفكر أو العقل والمنطق وحصرها في الألفاظ فقط، مع عزلها عن العقل والمعاني.^{١٤٩}

ولنضرب مثالًا لتأثير اللغة العربية الممكن في التفكير الأصولي خارج النص الشرعي بما ذكره السكاكي (ت ٦٢٦هـ) عند كلامه عن علم البيان أحد علوم البلاغة العربية الأصيلة، حيث يقول: "إن من أتقن أصلًا واحدًا من علم البيان كأصل التشبيه، أو الكناية، أو الاستعارة، ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب، أطلع ذلك على كيفية نظم الدليل".^{١٥٠}

إن هذا النص يؤسس لتأثير اللغة العربية في التفكير المنطقي السليم، فنظم الدليل على وجه العموم ثمرة من ثمار المنطق، وحيث أمكن استثمار العربية في هذا الباب فذلك يعني أنها تؤدي وظيفةً أخرى في العقل والفكر زيادة على وظيفتها في التعامل مع النصوص والألفاظ، وهي وظيفةٌ توازي وظيفة المنطق.

والسكاكي إنما يريد أن يبين مسألة أساسية واحدة، وهي أن آليات التفكير عند ممارسة القياس المنطقي هي نفسها آليات التفكير عند ممارسة أي أسلوب من أساليب البيان.^{١٥١}

^{١٤٧} بنية العقل العربي ٤٥،٤٤.

^{١٤٨} الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٤.

^{١٤٩} الجابري، بنية العقل العربي للجابري ٨٢.

^{١٥٠} السكاكي، مفتاح العلوم ١٨٢.

^{١٥١} الجابري، بنية العقل العربي ٩٩.

فالتشبيه عند أهل اللغة نجده من أوسع الأساليب البيانية في اللسان العربي، ويحمل في طياته جانباً فكرياً منطقياً عميقاً، حتى إن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) جعل التشبيه في اللغة قياساً.^{١٥٢} ويصف التشبيه في سياق آخر بقوله: "واعلم أنني لست أقول لك متى ألفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسن، ولكن أقوله بعد تقليد وشرط، وهو: أن تصيب بين المختلفين في الجنس وفي ظاهر الأمر شبهاً صحيحاً معقولاً، وتجد للملاءمة والتأليف السوي بينهما مذهباً وإليه سبيلاً".^{١٥٣}

والمقصود هنا أن اللغة العربية بفنونها المختلفة لها طبيعة منطقية استدلالية تؤثر في العقل ونمط التفكير، فكان حقها أن تكون من العلوم المؤثرة في بناء علم أصول الفقه بجانبه النقلي والعقلي، في حين أن الواقع الأصولي يحصر تأثير اللغة العربية في التعامل مع النصوص فهماً وتفسيراً وتأويلًا. والسلطة المرجعية المطلقة في علم أصول الفقه هي اللغة العربية، والعقل الأصولي عقلٌ لغوي محض يتجه من اللفظ إلى المعنى دائماً، مما جعل الأصولي يقدم الاهتمام بالألفاظ على حساب المعاني، والاهتمام بالجزئيات على حساب الكلّيات والمقاصد.^{١٥٤}

ومن هنا يتبين أن أقدم طرحٍ علمي ربط اللغة بالفكر وبيّن احتياج العقل إلى اللغة العربية وتأثيرها فيه هو طرح السيرافي وخلصته أن المنطق وضعه رجلٌ من يونان على لغة أهلها، والانصراف للغة العربية ومعانيها وعلومها يعني عن منطق يونان، والتلازم قائم بين المنطق واللغة، وربط عبد القاهر الفصاحة بالمعنى والعقل دون اللفظ والمنطق، فالفصاحة محلها الفكر والعقل، والعربية بفنونها المختلفة لها طبيعة منطقية استدلالية تؤثر في العقل ونمط التفكير.

^{١٥٢} أسرار البلاغة ١٥.

^{١٥٣} أسرار البلاغة ١٣٠.

^{١٥٤} بنية العقل العربي ١٠٥، ٦٣ التراث والحداثة ١٥٧.

المطلب الرابع: أثر اللغة في الاجتهادات الشرعية

يتفق علماء أصول الفقه على اشتراط العلم بالعربية للمجتهد من حيث الجملة، واختلفوا في القدر المشترط، فالجمهور يشترطون أن يعلم المجتهد من اللغة العربية القدر الذي يفهم به الكتاب والسنة، ويميز به بين أساليب العربية التي نزل بها خطاب الشارع، ولكنهم لا يشترطون درجة الإمامة في اللغة العربية، والتعمق في دقائقها.^{١٥٥}

والشاطبي (ت ٧٩٠هـ) يشترط قدرًا زائدًا على ما يذكره جمهور الأصوليين، حيث أطلق اشتراط بلوغ مبلغ الأئمة في العربية^{١٥٦} وحاول أن يرجع عبارات الجمهور إلى اشتراطه؛ لأنهم اشتراطوا القدر الذي يفهم به المجتهد خطاب العرب وعادتهم في الاستعمال، وهذا القدر-كما يذكر الشاطبي- لا يحصل إلا لمن بلغ في العربية درجة الاجتهاد.^{١٥٧}

والغزالي (ت ٥٠٥هـ) -على سبيل المثال- عندما تحدث عن اشتراط العربية قال: "وهذا تخصُّ فائدته الكتاب والسنة"^{١٥٨} بينما قال عن اشتراط معرفة نصب الأدلة وشروطها: "والحاجة إلى هذا تعم المدارك الأربعة"^{١٥٩} يقصد: الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

أما الشاطبي فإنه قد صرح بالاشتراط وعدمه، فبين أن اللغة العربية شرطٌ للاجتهاد في النصوص، بخلاف الاجتهاد خارج النصوص فإنه لا يُشترط فيه العلم باللغة العربية.^{١٦٠}

وحين نصل لمراجعة موقف المتكلمين في أصول الفقه من العلاقة بين اللغة العربية والمنطق وبين علم أصول الفقه الجامع بين العقل والنقل فإننا سنجد أنهم جعلوا علم أصول الفقه مستمدًا من اللغة العربية،^{١٦١} ولكنه استمدادٌ جزئي في ظاهر عباراتهم، ينحصر في علاقة عقل المجتهد بالنص وتفسيره، فأدوات تفسير النصوص عند الأصوليين مستفادةٌ من اللغة العربية؛ لأن النص بطبيعته عربيٌّ، وقد بحثوا هذه الأدوات تحت باب دلالات الألفاظ، وأبدعوا في بحثها أيما إبداع^{١٦٢}، ولكنهم لم

^{١٥٥} المستصفي ٣٨٥/٢ المحصول ٢٤/٦ الإحكام للآمدي ١٩٩/٤ نهاية السؤل ١٠٣٧/٢.

^{١٥٦} الموافقات ٥٣/٥.

^{١٥٧} : الموافقات ٥٥/٥.

^{١٥٨} المستصفي ٣٨٥/٢.

^{١٥٩} المستصفي ٣٨٥/٢.

^{١٦٠} الموافقات ١٢٤/٥ - ١٢٧.

^{١٦١} ٢٥٩ المستصفي ٤١/١ المحصول ٨٠/١ الإحكام ٢٢٠٢١/١.

^{١٦٢} الإبهاج ٧/١.

يُنزلوا اللغة العربية من أصول الفقه منزلة علم المنطق مثلاً ، الذي يظهر أن تأثيره عندهم كلي، فهو بمنزلة علوم الآلة التي تؤثر فيما تحتها تأثيراً كلياً، بخلاف اللغة العربية فليست عندهم مؤثرة في عقلانية علم أصول الفقه، بل تأثيرها منحصر في التعامل مع المنقول. إن الاتجاه الطبيعي للعلاقة بين اللغة العربية والعقل في أصول الفقه يكون من اللغة إلى العقل؛ لأن النصَّ الشرعي الذي هو مدار البحث الأصولي لغته عربية، فمن هذه الجهة تكون اللغة العربية سلطة مرجعية أولى على الفكر والعقل، فلا أقل من القول بتفاعل مستمر بينهما في جميع الأصول النقلية والعقلية، فكما أن اللغة لا تعمل بدون العقل، فكذلك العقل لا يكمل جولانه في الأمور الشرعية إلا باللغة العربية، وكما أنها لغة فهم النص وتفسيره فهي أيضاً لغة تفكر العقل وتدبره واعتباره.^{١٦٣}

إذا صح لنا هذا الفرض فإن أصول الفقه مستمد من اللغة العربية استمداداً كلياً، كعلم الكلام أو المنطق، وكما أن أصول الفقه لا تنفك عن النص الشرعي فهي كذلك لا تنفك عن لغة النص الشرعي تفسيراً وتأويلاً وتفكيراً وقياساً، فحق اللغة العربية مزاحمة المنطق في كونها آلة للتفكير السليم في علم أصول الفقه إن لم تكن تغني عنه أصلاً.

ولا نجد للأصوليين عند الكلام في الأصول العقلية ما يشبه أن يكون امتداداً لتأسيس السكّائي من جهة الإشارة لتأثير اللغة العربية في ترتيب الدليل العقلي، وانتظامه في العقل على وجه مستقيم، بل كلامهم امتداداً لتأثير المنطق المجرد بقوانينه المعروفة، وكونه حاكماً على العقل في هذا الباب، وآلة للتفكير السليم. وعند الكلام عن الاستدلال بالتلازم نجد أن الأصوليين يردون هذا الباب من الاستدلال العقلي إلى نوع من أنواع القياس المنطقي هو القياس الاستثنائي المتصل^{١٦٤}، في حين نجد السكّائي مثلاً يربط دليل التلازم ببعض أساليب العربية، كالتشبيه والكناية، ويرى أن اللغة العربية وأساليب البيان العربي تبني في العقل هذه الأنماط العقلية من الاستدلال على وجه صحيح دون الحاجة لأخذها من المنطق.^{١٦٥}

ويستبين لنا من خلال هذا المطلب أن علماء أصول الفقه متفقون على اشتراط العلم باللغة العربية للمجتهد من حيث الجملة، وإنما اختلفوا في القدر المشترط، ويشترط الشاطبي قدراً زائداً على ما يذكره جمهور الأصوليين، وجعل المتكلمون علم أصول الفقه مستمداً من العربية، فالإتجاه الطبيعي للعلاقة بين العربية والعقل في أصول الفقه يكون من اللغة إلى العقل؛ لأن النصَّ الشرعي الذي هو

^{١٦٣} ذكر الزركشي في البحر المحيط أن اللغة العربية مادة لبعض الأصول فقط، دون معظم الأصول كالإجماع والنسخ والقياس. وبين

أنها ليست على نظير علم الكلام مثلاً؛ لأنه مادة كلية، بينما اللغة العربية مادة لفهم الأدلة فقط. ٢٩/١.

^{١٦٤} المستصفي ٨٩/١ روضة الناظر ١٢٠/١.

^{١٦٥} مفتاح العلوم ٢١٣، ٢١٤. بنية العقل العربي ١٠١ التراث والحداثة ١٥٠.

مدار البحث الأصولي لغته عربية، فأصول الفقه مستمد من اللغة العربية استمدادًا كليًا، كعلم الكلام أو المنطق، وكما أن أصول الفقه لا تنفك عن النص الشرعي، فهي كذلك لا تنفك عن لغة النص الشرعي تفسيرًا وتأويلًا وتفكيرًا وقياسًا.

المطلب الخامس: توظيف النظريات اللغوية في جمع الأمة

كل نظرية لغوية لها مقصد أسمى، ولا يمكن أن نفهم النظرية بعيدا عن مقصدها، وهناك نظريتان لغويتان ظهرتتا في العصر الحديث، هاتان النظريتان تتصارعان على تأثير اللغة في الحياة، النظرية الأولى هي الحتمية اللغوية، والنظرية الثانية هي النسبية اللغوية، ويمكن أن نستفيد من النسبية اللغوية في معالجة الصراعات، وتجنب الخلافات، وهذا هو موضوع هذا المطلب.

تعد فرضية الحتمية اللغوية من النظريات اللغوية الفكرية التي تناولها درس اللساني الحديث بالبحث والدراسة، وقد أثارت ردود فعل وجدلاً في الأوساط اللغوية والفلسفية العربية والغربية، وتقوم على أساس أن العلاقة بين اللغة والفكر ترتكز على دور اللغة في تأطير وتشكيل الفكر أو عملية التفكير؛ فلا تفكير بدون لغة، وتمثل الفرضية الحتمية اللغوية الجانب المتطرف لفرضية النسبية اللغوية، أما الجانب المعتدل لهذه الفرضية فيقوم على أساس أن لغة دورًا ما في عملية التفكير أو المعرفة، أما الجانب المتطرف فيقوم على أساس أن اللغة هي الوعاء الذي يشكل الفكر، وأن هناك علاقة عضوية بين اللغة والفكر.^{١٦٦}

ويرجع تاريخ فرضية الحتمية اللغوية، بشكل عام، إلى كتابات المفكر الأمريكي بنيامين وورف، وي طرح وجهة نظره في موضوع العلاقة بين الفكر واللغة على أنّ "النظام اللغوي لكل لغة ليس مجرد أداة تستخدم لإعادة بناء التعبير عن الأفكار، بل إنه البرنامج، والمشكل للأفكار، والمرشد للنشاط الذهني للفرد، وتحليل انطباعاته وتركيب المخزون الذهني للفرد"^{١٦٧}؛ وتدعي النظرية أن بناء اللغة يضع قيودًا أو شروطًا على تمثيلات اللغة، وأن اللغة تشكل الفكر والإدراك. هذه النظرية في جانبها المتطرف قد تصدى لها العديد من العلماء.

ولو رجعنا إلى كتب التراث الإسلامي لوجدناه لا يقبل الحتمية اللغوية، بل يقول بنظرية النسبة اللغوية المتناثرة في كتبه، ويتضح مفهوم هذه النظرية عند ابن جني في الخصائص في معرض حديثه عن تعريف اللغة، فقد عرفها بقوله: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^{١٦٨}. وهذا التحديد لمفهوم اللغة يتوافق، إلى حد كبير، مع مفهوم النظرية النسبية، ويتأكد من جانبين: الأول هو الجانب

^{١٦٦} حمد، عبد الرحمن حامد، الفرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، مجلة عالم، الفكر، مج ٢٨، ٣٤٢٨، ٢٠٠٠م، ص ١.

^{١٦٧} المرجع نفسه، ص ١١.

^{١٦٨} ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مصر، دار الكتب العلمية، ١٩٥٢م، (١/٣٣).

الصوتي؛ أي الرموز اللغوية الذهنية، والجانب الآخر يتحدد في الوظيفة الأساسية للغة، وهي التعبير عن أغراض كل قوم من الأقوام ورغباتهم، وذلك بنقل رؤيتهم التي يرون فيها عالمهم الخارجي ضمن إطار البيئة والمجتمع، فاللغة تختلف من مجتمع لآخر، وهذا يعني اختلاف في طريقة التفكير، وهذا أدعى لقبول الآخر، وقبول التعددية الثقافية.

وقام ابن خلدون بإلغاء رؤية الحتمية اللغوية، والقيود التي تفرضها اللغة على الفكر، وتنبه من جانب آخر، إلى دور اللغة في نقل الأفكار والمعاني الذهنية، فعملية التفكير عنده يلزمها القوالب للمعاني، وهذه القوالب والأنماط النحوية ما هي إلا تصوير للواقع والعالم حسب ما يراه الفرد، إنها رؤية للواقع بالقوالب، رؤية للظاهرة نفسها بقوالب مختلفة، فاختلاف القوالب لا يعني مجرد اختلاف في النظام النحوي التركيبي فقط، وإنما يعني اختلافًا في القوالب الذهنية كذلك؛ ولهذا تختلف تصورات الإنسان عن العالم الخارجي، تبعًا لاختلاف القوالب اللغوية^{١٦٩}، وهذا ما يجعل فهمنا للآخر فهما يعبر عنا إلى حد كبير ولا يعبر عن الآخر بشكل كامل، ما يدعونا للتريث عند الاختلاف مع الآخر، فتصوراته الذهنية مختلفة عن تصوراتنا.

وأصل الفلاسفة المسلمون للنسبية اللغوية انطلاقًا من موقف معرفي؛ بمعنى أنهم ينطلقون من تصور شامل للوجود، يضعون الإنسان في حيز منه كما يوضع جهاز داخل نظام معين، ثم يعتبرون وجود الإنسان الوظيفي مرتبًا بالموضع الذي يحتله، وبالنظام الشامل الذي يحيط به. وبالهدف الأسمى الذي وجد من أجله، فالإنسان عند الجاحظ وفخر الدين الرازي كائن يعي وجوده، ووعيه للوجود فكر ليس بالضرورة أن يكون فكرًا ناطقًا؛ فاللغة لدى الإنسان اقتضاء وجودي. وبهذا المنحى من التفكير يكون الإنسان قد وهب الفكر واللغة معًا، لا أسبقية لأحدهما على الآخر، أما ابن حزم فقد أنزل الظاهرة اللغوية منزلة الباعث على التنام البشر مع مقتضيات الطبيعة والكون جملة.^{١٧٠}

إن المعاني اللغوية والاصطلاحية التي دارت حول مفهوم النسبية في العربية تتوافق مع أسس النظرية النسبية، ويتجسد ذلك جليًا في زمن الأفعال فالقيم الدلالية الزمنية في الصيغ الفعلية غير ثابتة وغير حقيقية، تختلف قيمها الزمنية باختلاف رؤى الأفراد وتصوراتهم الفكرية.^{١٧١}

^{١٦٩} ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، داريعرب للدراسات والنشر، اتحاد مكنتبات الجامعات المصرية، ط١، ٢٠٠٤م، (٣/١٣١٢).

^{١٧٠} اللغة العربية والفكر، ارتباط اللغة بالفكر، جريدة الأهرام المصرية، ٢٤/١٢/١٩٩٢.

^{١٧١} أحمد إبراهيم محمد النظرية اللغوية النسبية بين التراث والدرس اللساني الحديث ٤٤١، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق ٤٤٢.

ويرى الجرجاني أن المعاني الذهنية صورة أخرى للواقع، ولكن لا نفهم كنهه إلا بالألفاظ، ولا يمكن أن يعبر اللفظ عن شيء آخر غير الذي يفكر فيه الإنسان أو يراه أو يسمعه، فهو يفكر بما يرى، ويصوغ الألفاظ ويصنعها وفق رؤيته للعالم الذي يعيشه والواقع الذي يحياه.^{١٧٢}

أما الإمام الغزالي، فقد ربط بين اللغة والفكر، وجعلهما بحد يستحيل الفصل بينهما، فالمنظومة اللغوية تتمثل في التركيب النحوي، وهو الذي يصير الفكر إلى الوجود الخارجي، ليبث فيه الحياة، فالفكر لا يتحقق ولا يحيا إلا باللغة لكي تخرجه من خفائه، كما أن اللغة محتاجة إلى الفكر كي تُعبر عن موجودات وأغراض هذا العالم بوضوح، وتتشكل اللغة وتتسجم مع حيثيات ومثيرات هذا العالم وفق رؤية الفرد له. وعليه يمكن القول: إن اللغة تعكس نمط الوجود والحضارة والتاريخ، فتدل فيه المصادر والمفاهيم المنطوية عليها على وحدانية الانبثاق وانسجام المظاهر، وتدل الألفاظ الحاصلة من المصادر على تغير نمطية اللغة تبعاً لتغير التفكير.^{١٧٣}

وخلاصة الكلام هنا أن كل نظرية لغوية لها مقصد أسمي، ولا يمكن أن نفهم النظرية بعيداً عن مقصدها، وتتصارع نظريتنا الحتمية اللغوية والنسبية اللغوية على تأثير اللغة في الحياة، ويمكن أن نستفيد من النسبية اللغوية في معالجة الصراعات، وتجنب الخلافات. ويرجع تاريخ فرضية الحتمية اللغوية بشكل عام إلى كتابات المفكر الأمريكي بنيامين وورف الذي جعل اللغة متسلطة على الفكر. وقد تبنى التراث العربي النسبية اللغوية، ويتضح مفهوم هذه النظرية عند ابن جني في الخصائص في معرض حديثه عن تعريف اللغة، وقام ابن خلدون بإلغاء رؤية الحتمية اللغوية، والقيود التي تفرضها اللغة على الفكر، وتنبيهه إلى دور اللغة في نقل الأفكار والمعاني الذهنية، وأصل الفلاسفة المسلمون للنسبية اللغوية انطلاقاً من موقف معرفي؛ بمعنى أنهم ينطلقون من تصور شامل للوجود، يضعون الإنسان في حيز منه. إن المعاني اللغوية والاصطلاحية التي دارت حول مفهوم النسبية في العربية تتوافق مع أسس النظرية النسبية، ويتجسد ذلك جلياً في زمن الأفعال؛ فالقيم الدلالية الزمنية في الصيغ الفعلية غير ثابتة، كل ذلك يجعل الإنسان أكثر قبولاً للآخر، لأنه يعلم أن الآخر عبر عن تصورات بالغة، واللغة عبرت عن تصوراتي أنا وليس تصوراتيه.

^{١٧٢} دلائل الإعجاز، ص ٥٢.

^{١٧٣} الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المنحول من تعليقات الأصول، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر -

بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق - سورية، ط ١٦٦، ٣، ص ١٩٩٨.

المبحث الخامس: آليات التماسك النصي في رسالة السالمي المطلب الأول: حروف العطف وتماسك النص

أولا العطف بالواو: يُعدّ العطف من أهم وسائل الترابط بين كلمات النص وجمله وأكثرها شيوعاً، فالجمل المركبة تتكون من عبارة أساسية ومجموعة من العبارات الأخرى تعتمد على العبارة الأولى، والرابط بين هذه العبارات هو أدوات العطف^{١٧٤}، كذلك تسمح أدوات العطف للوحدات البعيدة بالتقارب والارتباط والتماسك على مستوى سطح النص من جهة الشكل وعلى مستوى البنية العميقة من جهة الدلالة، والشعراء أنفسهم كانوا يراعون جانب الترابط في الرسالة الواحدة، ومما يدل على ذلك قول عمر بن لجأ لأحد الشعراء: "أنا أشعر منك: قال: وبم ذلك؟ قال: لأنني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"^{١٧٥}، وقد أسهمت حروف العطف -بوصفها إحدى وسائل التماسك النصي- في إظهار خاصية تماسك النص وانسجامه، وهو ما وجدناه في جواب السالمي، فحروف العطف تؤثر في تماسك النص من خلال معانيها الدلالية، كالجمع بين الألفاظ أو الجمل أو التمييز بينها، أو ترتيب المعاني وانسيابها، وقد تفاوتت حروف العطف من حيث الاستعمال ومن حيث الأهمية، وكان معظم العطف يعود إلى الواو لأنها أم باب حروف العطف؛ فلحرف الواو دور في تماسك النص في رسالة الإمام السالمي تظهر على النحو الآتي:-

^{١٧٤} ينظر: صبيح إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق- دار قباء للطباعة- القاهرة- ط ٢٠٠٠. ١ م (٢٨٥/١).
^{١٧٥} الجاحظ، البيان والتبيين- الجاحظ- تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي- القاهرة- ط ١٤١٨/٧ هـ- ١٩٩٨ م (٢٠٦/١).

ورد العطف بالواو (٣٦) مرة في جواب السالمي، وتنوع الربط بين الاسم والفعل والحرف على النحو المبين في الجدول التالي:

م	الواو مع الاسم	الواو مع الفعل	الواو مع الحرف
١	وهو	ويحضهم	ومنها
٢	وللتفرق	ويكون	وإذا
٣	والتباغض	وتضمحل	ولكن
٤	والتكالب	وكفيتهم	ومنها
٥	والساعي	وأوفق	ولو
٦	وأقرب	وليس	وهي
٧	والسلام	ونرد	ولو
٨	والأمراء	ونعرف	وإن
٩	والمغرم	ويحضهم	وإن
١٠	ومتردد		وإن
١١	ومقصد		ولم
١٢	والعام		وإنما
١٣	وهو		
١٤	وتشعب		

ثانيا العطف بالفاء: الفاء: من حروف العطف التي تفيد الترتيب والتعقيب، ومعنى الترتيب، أن المعطوف عليه يحدث في البداية، والمعطوف يحدث بعده، ومعنى التعقيب: "أن الثاني يحدث بعد الأول مباشرة بحسب ظروفه"^{١٧٦}، يقول الله في سورة المؤمنون: (ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

^{١٧٦} عيد: د. محمد، النحو المصنف، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ت) ٦١٠.

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا^{١٧٧}، نجد في الآية الكريمة أن الفاء قد ربطت بين المعطوف عليه والمعطوف وأفادت حسن الترتيب مع التعقيب والسرعة، وأعطت المعنى قوة.

وقد وردت الفاء (٩) مرات في جواب السالمي، وتنوع الربط بين الاسم والفعل والحرف على النحو المبين في الجدول التالي:-

م	الفاء مع الاسم	الواو مع الفعل	الواو مع الحرف
١	فشيئاً	فيبقى	فإذا
٢	فشيئاً	فيصير	فإنما
٣	فالأمر		فمن
٤	فالكبير		

ثالثاً العطف بـ**ثُمَّ**: تأتي ثم حرف عطف يفيد الترتيب مع الانفصال أو التراخي؛ حيث يتأخر المعطوف عن المعطوف عليه بالانفصال، نحو: جاء زيد ثم عمرو، ومنه قوله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)^{١٧٨}، وقوله تعالى: (ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ)^{١٧٩} فقد ربطت (ثم) بين المعطوف عليه والمعطوف مع الترتيب والتراخي، وقد مرت فترة زمنية بين المعطوفين وعمل الربط بـ**ثُمَّ** على تقوية الصلة بينهما.^{١٨٠}

وقد جاء الربط بها في رسالة السالمي في موضع واحد هو قوله: ثم يفشو شيئاً فشيئاً.

ونخلص من مما سبق إلى أن العطف بالواو جاء (٣٦) مرة في جواب السالمي، وتنوع الربط بين الاسم والفعل والحرف، والعطف بالفاء جاء (٩) مرات مع الاسم والفعل والحرف، بينما جاء العطف بـ **ثُمَّ** مرة واحدة. ويدل كثرة استخدام حرف الواو في العطف على رغبة السالمي في جمع الشمل بأي كيفية مشروعة وممكنة؛ فهي لمطلق الجمع، وقد جاءت الفاء تسع مرات وهي تدل على الترتيب

^{١٧٧} سورة المؤمنون: الآية: ١٤.

^{١٧٨} سورة الزمر: الآية ٦.

^{١٧٩} سورة الأنعام: الآيتان: ١٥٣-١٥٤.

^{١٨٠} حمدي محمد محمد فتح الباب، الروابط في العربية، دراسة نحوية دلالية،



والتعقيب، ولعلها تدل على رغبة الإمام في سرعة جمع كلمة الأمة، ثم جاءت (ثم) مرة واحدة لتدل على تحذيره من خطورة التواني في جمع كلمة الأمة، وأنها لا تملك خطوة واحدة للتقهقر إلى الوراء.

المطلب الثاني: الشرط

الشرط والجزاء: هو ترتيب أمر على آخر بأداة وأدوات الشرط التي تستعمل في هذا الترتيب، والشرط يعني وقوع الشيء لوقوع غيره^{١٨١} ومحور الجملة الشرطية الربط بين حدثين مختلفين ربطاً عضوياً بحيث يكون أحدهما مقدمة والآخر نتيجة، وهذان الحدثان اللذان يتم ربطهما ليسا قائمين بذاتهما وحدثهما، بل هما مسندان بالضرورة إلى من يقوم بهما، وبهذا لا يكون الترابط بين حدثين في الحقيقة بل بين تركيبين إسناديين لكل منهما مقوماته الإسنادية من محكوم به ومحكوم عليه، ولا يتم الربط بين هذين التركيبين إلا بأداة خاصة تقوم بترتيب العلاقة بينهما وجوداً أو عدماً، ماضياً أو مستقبلاً، ومعنى هذا أن العناصر المكونة للجملة الشرطية في الحقيقة ثلاثة هي: الأداة، وتركيب فعل الشرط، وتركيب الجواب أو الجزاء.^{١٨٢}

ذكر ابن السراج أنه لا بد للشرط من جواب وإلا لم يتم الكلام وهو نظير المبتدأ الذي لا بد له من خبر ألا ترى أنك لو قلت: (زيد) لم يكن كلاماً يقال فيه صدق أو كذب، فإذا قلت: (منطلق) تم الكلام؛ فكذا إذا قلت: (إن تأتني) لم يكن كلاماً حتى تقول: أتك وما أشبه.^{١٨٣}

فالترابط بين الشرط والجزاء ضروري لتحقيق الفائدة، ولكن هذا الترابط لم يأت عفواً، وإنما نتج عن أداة الشرط التي لولاها لما كان ثمة بين الطرفين صلة. وهكذا يلمس ابن السراج بوضوح العناصر الثلاثة المكونة للجملة الشرطية، وهي: الأداة والفعل والجواب، فدور أدوات الشرط إذن هو ربط الجملتين، وتعلق بعضهما ببعض؛ فجملة الجزاء تتعلق بجملة الشرط عن طريق أدوات الربط، وما يتضمن معنى الشرط من وجوب وجود هاتين الجملتين، إذ لا يستقيم الكلام بإحدهما.^{١٨٤}

وهذه أبرز أمثلة الشرط في جواب السالمي: (وإذا أراد الله أمراً كان)، (فإذا أجاب الناس إلى هذه الخصلة العظيمة ذهب عنهم العصبية المذهبية)، (وإن تعذر هذا من الملوك فالأمر عسير والمغرم كثير).

^{١٨١} ينظر: المقتضب ٢/٢٣٤ شرح المفصل ٧/١٢٣.

^{١٨٢} رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي، الانسجام وأدواته في خطب الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، جامعة الكوفة - كلية الفقه <https://content.mandumah.com/download?t=bfb41afb0e44f6ea77280910e59a0aaa0be05153&f=QeeC2mBoagbb0ukpROj6kLW72rZK23M8wRJOx9S8Ys4=&s=1>

^{١٨٣} ينظر: الأصول ٢/١٦٤.

^{١٨٤} رفاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي، الانسجام وأدواته في خطب الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، جامعة الكوفة - كلية الفقه <https://content.mandumah.com/download?t=bfb41afb0e44f6ea77280910e59a0aaa0be05153&f=QeeC2mBoagbb0ukpROj6kLW72rZK23M8wRJOx9S8Ys4=&s=1>

وقد جاء استخدام الشرط بصورة هندسية رائعة؛ فقد جاء مرة متعلقًا بإرادة الله الكونية النافذة، ومرة متعلقًا بالإرادة القدرية مع الناس، ثم أخيرًا محذرًا من امتناع الملوك لأنه سبب الفساد والهلاك.

المطلب الثالث: التقديم والتأخير

يرى الزركشي أن التقديم والتأخير باب كثير الفوائد، جم المحاسن، بعيد الغاية، تتبارى فيه الأساليب، وتظهر المواهب فيه والقدرات، وهو دلالة على حسن التصرف في الكلام ووضعه الوضع الذي يقتضي المعنى، وهو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق. ١٨٥

والجملة كلمات تأتلف لتدل على معنى، أو هي كما ذكروا: اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، ولا تكون الجملة تامة إلا إذا استوفت ركنيها: المسند والمسند إليه، وإذا حذف أحدهما فإنهم يلجئون إلى التقدير ليستقيم الكلام.

والموضح أن البلاغيين أخذوا بنظر الاعتبار في تأليف الجملة حال المتكلم وحال المستمع وذلك ما صرحوا به حين قالوا: (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، وذلك يعني أنهم اعتمدوا في نظرهم إلى التقديم والتأخير بمنظار جمالي ذوقي، في الوقت الذي نظر إليه النحاة بمنظار وظيفي، مع العلم أن التأسيس الأول لهذه القضية قد وضع أسسها ولبناتها النحاة الأوائل، وأن ما جاء به البلاغيون ما هو في الحقيقة إلا بناء مكمل لما أصَّله مَنْ تَقَدَّمَهم من النحاة، مع الإشارة إلى أن مسألة التقديم والتأخير تشكل قيمة أسلوبية مفادها العدول عن القاعدة الأصلية، وأن هذا العدول لا يكون في الأصول الثابتة، وإنما يكون في المنصوص عليه من قِبَل النحاة، بجواز الخروج على تلك الأصول، ذلك بأنهم حددوا الرتبة في الكلام بأنها محفوظة وغير محفوظة. ١٨٦

وثمة تقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنتقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له إعرابًا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرًا له، فتقدم تارة هذا على ذلك، وأخرى ذاك على هذا، ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق. وللتقديم والتأخير أغراض بلاغية منها: أن يتمكن الخبر في ذهن السامع، وأن يقصد تعجيل المسرة، والتلذذ بذكره، وتخصيص المسند بالمسند إليه، والتنبيه مثل (له همم لا منتهى لكبارها)، والتشويق للمسند إليه. ١٨٧

١٨٥ البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٢٣٣/٣، والحق أن بعض عبارات الزركشي مأخوذة من عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز/

١٣٧، فهو المؤسس الحقيقي لعلم البلاغة وقد درس التقديم والتأخير دراسة معمقة كما سيظهر في ثنايا البحث.

١٨٦ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع للسید أحمد الهاشمي، طبعة مجددة ضبطها: صدقي محمد جميل، مؤسسة الصادق عليه السلام للطباعة والنشر مطبعة أمير، بيروت (د.ت.) / ٩٩.

١٨٧ فاضل صالح السامرائي، معاني النحوظ ٢، مزبدة ومنقحة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (١٣٦/١).

ومن التقديم والتأخير في جواب السالمي: (وللتفرق أسباب أخرى)، (منها التحاسد)، (ومنها طلب الرئاسة)، (ويكون الحق أولاً عند آحاد من الرجال)، (وليس لنا مذهب)، (ولم يشرع لنا ابن إباح مذهباً).

ونخلص مما سبق إلى أن الشيخ السالمي استخدم التقديم والتأخير بوصفه تقنية من تقنيات التماسك النصي مقدماً الأهم على المهم؛ فمثلاً: قدم التفرق على أسبابه، وهذا يعني أنه يرفض التفرق أيًا كانت أسبابه، ولذلك كرر التقديم والتأخير مع أسباب التفرق كما في قوله: (منها التحاسد). ومنها (طلب الرئاسة)، ثم قدم وحدة الأمة على العصبية المذهبية كما في قوله: (وليس لنا مذهب). وفي قوله: (لم يشرع لنا ابن إباح مذهباً). نجد تعبيره عن الأمة بالضمير (نا) دليلاً على الحرص على وحدة الأمة في مواجهة أسباب التفرق حتى ولو كانت هذه الأسباب مشروعة كالمذهبية مثلاً، فضلاً عن الأسباب غير المشروعة مثل العصبية، فالعصبية لا تكون معها وحدة الأمة.

المطلب الرابع: حرف الجواب (نعم)

(نعم) حرف تصديق للكلام على ما يورده المتكلم من نفي وإيجاب، كما أنه إذا قيل: قام زيد، فإذا قلت: نعم، فقد صدقته على أنه قام، وإذا قيل: لم يقم زيد، فقلت: نعم، صدقته على أنه لم يقم.

وإذا كان في الكلام استفهام ثم قلت: نعم، فهو تصديق بأطراح حرف استفهام، كقول القائل: هل قام زيد؟ فإذا قلت: نعم، فقد قلت: إنه قام، وإذا قيل: ألم يقم زيد؟ فقلت: نعم، فكأنك قلت: لم يقم، قال سيبويه: "وأما نعم فعده وتصديق".^{١٨٨}

والعده والتصديق لا يجتمعان في (نعم)، بل لكل من المعنيين موضعه، والذي يريده بقوله: عدة وتصديق: أنه يستعمل عدة، ويستعمل تصديقاً، وليس يريد أن التصديق يجتمع مع العدة، ألا ترى أنه إذا قال: أتعطيني؟ فقال: نعم، كان عدة، ولا تصديق في هذا، وإذا قال: قد كان كذا وكذا فقلت: نعم، فقد صدقته، ولا عدة في هذا.^{١٨٩}

^{١٨٨} سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، (١٩٨٨م) الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة. (٢٣٤/٤).
^{١٨٩} الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، دار المأمون للتراث - (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دمشق (٤/٢٠).

وقد ذهب بعض المتأخرين إلى أنه يجوز أن يقع "نعم" موقع "بلي"، وهو خلاف نص سيبويه. وأحسن ما يحمل عليه كلام هذا المتأخر أن "نعم" إذا وقعت بعد نفي قد دخل عليه الاستفهام، كانت بمنزلة "بلي" بعد النفي، أعني للإثبات؛ لأن النفي إذا دخل عليه الاستفهام رُدَّ إلى التقرير وصار إيجاباً.^{١٩٠}

و(نعم) حرف مشتق، قال الزركشي: «قَالَ ابْنُ جَنِّي: الْأَشْتِقَاقُ كَمَا يَقَعُ فِي الْأَسْمَاءِ يَقَعُ فِي الْحُرُوفِ، فَإِنَّ نَعْمَ حَرْفُ جَوَابٍ. وَأَرَى أَنَّ نَعْمَ، وَالنَّعْمَ، وَالنَّعْمَاءَ، وَالنَّعِيمَ مُشْتَقَّةٌ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ أَنْعَمَ صَبَاحًا، لِأَنَّ الْجَوَابَ بِهِ مَحْبُوبٌ لِلْقُلُوبِ».^{١٩١}

والمعنى المحوري الذي يدور عليه أصل مادة (نعم) هو: رقة الشيء وليونته وخلوه من الغلظة والخشونة، ومنه النعمامة التي تتميز بنعومة ريشها، ولين طبعها وجبنها، وهو متناسب مع الرقة والليونة التي تدل عليها أصل المادة الكلمة، ومن ذلك النعمة بالكسر والنعماء والنعيم، والنعمى بالضم: الخفض والدعة وغضارة العيش، ومن الأصل (نعم) في الجواب بالإيجاب، إذ هي تعبر عن تصديق ما تقدم ماضيًا أو مستقبلاً، مثبتًا أو منفيًا، وهذه سهولة ويسر؛ لأنها موافقة وكل ذلك مما يناسب الليونة والرقة والطراوة في الأصل.^{١٩٢}

وتأتي (نعم) على ثلاثة أضرب: تصديق مُخْبِرٍ؛ كأن يقال: جاء زيد، أو ما جاء زيد، فيقال: نعم، وإعلام المستخبر؛ كأن يقال: هل جاء زيد؟ فيقال: (نعم)، ووعد الطالب، كأن يقال: اضرب زيدا، أو لا تضرب زيدا، فيقال: نعم.^{١٩٣}

وقد صَدَّرَ الإمام السالمي جوابه بـ (نعم) لعدة دلالات؛ أبرزها أن (نعم) حرف تصديق للكلام، فهي تدل على تصديق السائل أن جمع الأمة ممكن، وكما نص سيبويه "وأما نعم فعدة" أي وعد، وكان الشيخ يعد السائل بجمع كلمة الأمة، ولما كانت نعم مشتقة من النعماء والنَّعِيمِ، كان السبيل لجمع كلمة الأمة في نظر الشيخ باللين، لا بالعنف والمخاشنة، لأن مادة (نعم) هي رقة الشيء وليونته وخالوه من الغلظة والخشونة.

^{١٩٠} الأُسدي الموصلي، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين (٢٠٠١م) شرح الهم فصل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الأشموني المصري الشافعي (٢٠٠٨م) (٦٥/٥)

^{١٩١} الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (١٩٩٤م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت. (٣١٥/٢).

^{١٩٢} جبل، محمد حسن (٢٠١٠م)، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب القاهرة. (٤/٢٢٢٧).

^{١٩٣} دلالات "نعم" في القراءات القرآنية ومذاهب القراء في قرائتها، عظيمي محمد أديب، [https://0810g5657-1103-y-https-search-](https://0810g5657-1103-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/1361875)

[mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/1361875](https://0810g5657-1103-y-https-search-mandumah-com.mplbci.ekb.eg/Record/1361875)



المطلب الخامس: الضمائر الظاهرة

هناك أدوات كثيرة تخدم النص، يختار منها الناصُّ ما يلائم نصّه، مثل أدوات النفي والنهي والاستفهام والتعجب، والتوكيد. ويجب على الناصِّ تحري الدقة في اختيار الملائم، وقد يكون الاختيار على مستوى الجملة. وتنقسم الجملة إلى جملتين، هما: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، وهناك اختيار على مستوى الضمائر، فكل ضمير في الجملة يقوم بدور معيّن في الخطاب الكلامي؛ فضمير المتكلم يستخدم للتأكيد وتنبية المتجاهل، ويستخدم للدلالة على الحزن والفرح والدهشة وغرابة الحدث، بينما ضمير المخاطب يستخدم لبيان توجيه الخطاب للناس، وضمير الغيبة يستخدم غالبًا للتعبير عن سعة المدلول وعظيم تخيل الأمور.^{١٩٤}

وتمثل الضمائر وسيلة من وسائل الترابط الإحالية؛ فالضمائر تقوم على مفهوم دور الشخص، المشاركين في عملية التلطف. وقد ربط النحاة بين الضمائر، ومفهوم الإبهام؛ ذلك أن الضمائر تحتاج إلى ما يميزها ويفسرهما في الأغلب، وقد فرق سيبويه بينها وبين أسماء الإشارة.^{١٩٥} ويدل على ذلك أيضاً، تعريف ابن يعيش للمضمر، وذلك حين يقول: "المضمرات من نوع الكناية"، فكل مضمر مكني، وليس كل مكني مضمرًا. فالكناية إقامة اسم مقام اسم تورية وإيجازًا، وقد يكون ذلك بالأسماء الظاهرة.

١٩٦

وردت الضمائر في جواب الشيخ بكثرة، وهذه بعض نماذج الضمائر في الرسالة: (وهو السبب الأعظم، على حسب ما اقتضاه نظركم)، (وللتفرق أسباب أخرى منها)، (ومنها طلب الرئاسة)، (وأقرب الطرق له أن يدعو الناس إلى ترك الألقاب المذهبية ويحضّهم على التسمي بالإسلام)، (ذهبت عنهم العصبية)، (ثم يفشو شيئاً فشيئاً)، (وهي دعاية الإسلام)، (لأسرع الناس في قبوله)، (لأنه مرجع الكل)، (نقبل الحق ممن جاء به)، (ونرد الباطل على من جاء به)، (فالكبير عندنا من وافقه والصغير من خالفه)، (وإنما نُسبنا إليه لضرورة).

لقد وردت الضمائر في الرسالة بكثرة نحو (١٥) مرة، ولعل السبب في ذلك أن الشيخ يرى أن أول أسباب الوحدة أن يتخلى الناس عن المسميات، أو أن تختفي شخوصهم وذواتهم، وهذا ما يبرر غزارة استخدام الضمائر، فضلاً عن التماسك النصي الذي تحققه الضمائر في الإحالات المختلفة

^{١٩٤} رانيا شحادة سعيقان، الأسلوبية دراسة وتحليل وتطبيق ص ٤٥.

^{١٩٥} زاهر بن مرهون الداودي، الترابط النصي بين الشعر والنثر، ص ٤٥.

^{١٩٦} المرجع نفسه، ص ٤٦.

يبقى لها دلالة أخرى وهي تقديم الأمة على الفرد أو الشخص، وهو ما يضمن عدم التعصب للأشخاص.

المطلب السادس: المقابلة

درس النقاد والبلاغيون العرب ظاهرة المقابلة في نصوص الإبداع الشعري، ومع أن أساليب تناولهم لها قد تعددت وتنوعت، غير أنها تنطلق من معني واحد وهو التّضاد التعبيري^{١٩٧}، إذ رأى أبو هلال العسكري أن الناس قد اتفقوا على أن معنى المطابقة هو: الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة، أو بيت من بيوت القصيدة مثل: الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد، وأشار إلى ورودها في القرآن الكريم، والحديث النبوي، وألمح إلى ورودها في بعض الشعر العربي، في مختلف عصوره.^{١٩٨}

ولم يبتعد نقاد العرب كثيرًا عن تعريف أبي هلال، فقد وافقه ابن رشيق^{١٩٩} وابن منقذ^{٢٠٠} وابن الأثير^{٢٠١}، وأما ابن أبي الإصبع فيصف التّضاد بأنه: حسن المقابلات^{٢٠٢}، وهذا الوصف يعطي لهذه الظاهرة أهمية حيوية تتحدد في أن المقابلة بين الأفكار والصور وسيلة من وسائل التّضاد، أو بالأحرى ضرورة فنية وبنية فكرية يلجأ لاستخدامها كل من له بوسائل التعبير الفني صلة.

وللتضاد ارتباط بالمتلقي باعتباره أحد صيغ الأسلوب التعبيرية^{٢٠٣} بينما يُعد الرمانّي أول من تنبه إلى السر الجمالي للتضاد وأهم ركن في جمالية التّضاد وهو الأثر النفسي الذي يبدو من صورة الانتقال بين المعني وضده، وانفعال الوجدان بذلك.^{٢٠٤}

^{١٩٧} السيد عبد السميع حسونة، أبنية التّضاد في شعر عنتر بن شداد، الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها - جامعة القصيم، وكلية دار العلوم - مصر - جامعة المنيا،

<https://content.mandumah.com/download?t=f39a81851a419b877deadf3745dda5d88b1d353b&f=AGRpc5qXOeSHo%20DS7KVisrTxM84txR3/XXaTjD7D4E=&s=1>

^{١٩٨} أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، دار الفكر العربي، ص ٣١٦.

^{١٩٩} ابن رشيق، العمدة، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: ٤، دار الجيل، ٢: ٩٤.

^{٢٠٠} ويسمي التّضاد بـ: التطبيق، ويعرفه بقوله: إن التطبيق هو أن تكون الكلمة ضد الأخرى، انظر: أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، ت: د أحمد بدوي وخالد عبد المجيد، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٦.

^{٢٠١} ابن الأثير، المثل السائر، ت: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، نهضة مصر ٢: ٢٧٩.

^{٢٠٢} ابن أبي الإصبع، تحرير التعبير، ت: د. حفي شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ص ١٧٩.

^{٢٠٣} حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ت: محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط: ١٩٨٦م، ٤٢٠.

^{٢٠٤} الرمانّي، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.

والتضاد في اللغة -في كثير من الأحيان يقترن بالخلاف؛ فيقال ضد الشيء: خلافه، فالسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار إذا جاء هذا ذهب ذاك. ويقال أيضاً ضاده: خالفه، فهما متضادان. ٢٠٥

وهناك فرق كبير بين ما هو مألوف في استعمال اللغة وما هو غير مألوف أثناء قراءة العمل الأدبي. ويدرك الشاعر أو الكاتب القيمة الكامنة داخل اللفظة الواحدة، فيبرزها مثيراً بذلك وعي المتلقي وإدراكه، وتحصل الصدمة الأولى للمتلقي في وعيه ومعرفته، فيسعى باحثاً عن أسرار معانيها. من أجل ذلك أعلى (ريفاتير) من قيمة المفاجأة والخروج على المؤلف حينما عرّف الأسلوب بأنه: "سياق يكسره عنصر غير متوقع". ٢٠٦

وهذا القول يشبه ما أورده (كوهين) عندما جعل القصيدة الشعرية تعبيراً غير عادي عن عالم عادي ٢٠٧ وهذا التعبير غير العادي ما هو إلا انزياح صارخ عن معيارية اللغة.

وهكذا نصل إلى الأهمية الكبرى لأسلوب التضاد في خرق المؤلف والخروج عليه، أو ما يمكن تسميته بالانزياح الذي يُثري المعنى ويوسّعه، عندما تحدث مخالفة تغدو ذات تأثير فعال يتلقفه المتلقي عبر كسر السياق والخروج عليه، وسرُّ أسلوب التضاد في تهيئة مفاجأة أو خرق عادة بتصوير حركة معينة في الانتقال من نقطة إلى نقطة أخرى تضادها، وتوضح التوتر بينها.

والتضاد الذي يقوم على علاقة الكلمة ضمن النص عنصر من عناصر الشعرية التي تجمع بين المبدع -حينما يُفرِّغ أحاسيسه ومشاعره في الكلمة المختارة التي حملت هذه المشاعر وخرجت عن مألوفها- والمتلقي المصدوم بمكونات الكلمة الباحث عن جمالياتها، لكن لغة التضاد هذه ممثلة لأحد منابع الفجوة -مسافة التوتر- الرئيسة. ٢٠٨

٢٠٥ انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ص ٧٣، وابن منظور، لسان العرب، والفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة: ضد.

٢٠٦ انظر: اتجاهات البحث الأسلوبي، د. شكري عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، ط: ١، الرياض: ١٩٨٥، ص ٢٤٨.

٢٠٧ جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ت: محمد الولي محمد العمري، دار طوبقال، ط: ١٩٨٦، ١ ص. ١٣٠.

٢٠٨ كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط ١٩٨٧، ١م، ص ٤٥، بيير جيرو، الأسلوبية، عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط ١٩٩٤، ٢ م، ص ١٢٤.

ولا تبرز قيمة التضاد الجمالية إلا إذا أُدخِل في بنية النص، ليخلق قيمته الفنية المتمثلة في قدرته على استنطاق الشعور، عن طريق الإبانة الخاطفة عن وجهي الحياة أو الأشياء، وفي هذه الإبانة تتآزر مختلف وسائل التركيب اللغوي.^{٢٠٩}

ولبنية التضاد أهمية كبرى في فهم النصوص وسبرها؛ لقدرتها على تمثيل وتجسيد الأفكار، وتزداد هذه الأهمية إذا ارتبط التضاد بالتشبيه^{٢١٠}، وبالاستعارة والمجاز. ويُعد التضاد بذلك جزءاً من الصورة، يسهم في رسمها بشكل مثير قادر على توليد طاقة أكبر من الشعرية، ولذلك فإن مولد الشعرية في الصورة، وفي اللغة على حد تعبير-كمال أبو ديب- "هو التضاد لا المشابهة".^{٢١١}

ومن أبرز أمثلة المقابلات في رسالة السالمي: (اختلاف المذاهب وتشعب الآراء)، (تشعب الخلاف ممكن عقلاً مستحيل عادة) (ويكون الحق أولاً عند آحاد من الرجال ثم يفشو شيئاً فشيئاً) (ولو أجاب الملوك والأمراء إلى ذلك لأسرع الناس في قبوله) (فالأمر عسير والمغرم كثير) (ومقصد الخاص والعام) (تجدنا نقبل الحق ممن جاء به وإن كان بغيضاً، ونرد الباطل على من جاء به وإن كان حبيباً) (فالكبير عندنا من وافقه والصغير من خالفه).

ونخلص من ذلك إلى أن الإمام السالمي أكثر من استخدام المقابلات لما تحققه من تماسك نصي، فضلاً عن دورها في بيان حال الأمة التي تمتلك كل مقومات الوحدة: لغة واحدة، ودين واحد، وعرق واحد، وأرض واحدة، ثم هي بعد ذلك في شتات من أمرها، ولهذا نجد الشيخ استخدم القيمة البلاغية للمقابلة ليوّظ العقول والقلوب.

^{٢٠٩} رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ٢١٦، د. محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في

شعر الحدائث، التكوين البيديعي، دارالمعارف، مصرط ١٩٩٥، ٢، ص١٤٧.

^{٢١٠} السكاكي: مفتاح العلوم، ص ١٦٨، بدوي طبانة، علم البيان، ص ١٤٤ و١٤٥.

^{٢١١} كمال أبو ديب، في الشعرية، ص ٤٧، وجدلية الخفاء والتجلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩، م، ص٢٥٥.

المبحث السادس: سيميائية العلامة الإعرابية في جواب السالمي

المطلب الأول: سيميائية العلامة الإعرابية في التراث

توسع علماء التراث في مفهوم البيان حتى جعلوا موضوعه الفصاحة والبلاغة وجعلوا دلالاته على هيئة مخصوصة من الحسن مستعملاً في سبيل ذلك النحو والإعراب، وجعلوا من الأدوات التي يجب أن تتوافر في البياني معرفة علم العربية من نحو وصرف.^{٢١٢} وأما الوظيفة البلاغية وعلامة الإعراب عند المتأخرين من البيانيين فقد قُيِّدَتْ بمجموعة قواعد وقوانين وضوابط يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كقواعد التشبيه وضوابط الاستعارة والمجاز المرسل وقوانين الكناية.^{٢١٣}

وقد اهتم النحاة بتعدد أوجه الإعراب، كما اهتموا أيضاً بالمعاني وأن لكل وجه ما يبرّره من المعاني التي قصدها المتكلم؛ فالنحاة لا يهتمون بالمعنى إهمالاً تاماً، ولكنهم لا يهتمون بالفروق الدقيقة في المعنى للجملة إذا تغير إعراب بعض كلماتها، وقد استعمل علماء العربية القدامى "الاتساق" وهو الانسجام، وتعريفه: أن يأتي الكلام سهل المساق عذب المذاق حسب الاتساق، منحدرًا في الأعمال كتدر الماء المنسجم.^{٢١٤} ومع كون علماء التراث قد أسسوا للسيميائية بمفهومها الحديث إلا أنهم لم يأصلوا لسيميائية العلامة الإعرابية، وهذا ما يحاوله بعض العلماء في العصر الحديث.

ولقد كان الإعراب ولا يزال هو قطب الدائرة في النحو، به يفتح النحاة حديثهم، ومن خلاله يتناولون خواص التركيب المختلفة لا يتركون منها شيئاً... إن السمة البارزة للنحو أنه نحو إعرابي، فهو يقوم في منهجه على الإعراب، وقد بدا هذا واضحاً منذ بدأ التفكير في النحو وحتى عصرنا هذا.^{٢١٥}

ومن هنا يتبين أن العلماء والباحثين القدامى يرون لعلامة الإعراب أثراً في بلاغة الكلام ومن أبرز هؤلاء العلماء: ابن جني (ت ٣٩٢هـ، والزمخشري "ت ٥٣٨هـ، وأبو حيان التوحيدي "ت ٤١٤هـ؛ فالنحاة لا يهتمون بالمعنى إهمالاً تاماً، ولكنهم لا يهتمون بالفروق الدقيقة في المعنى للجملة، ومع ذلك فقد أسس علماء التراث للسيميائية بمفهومها الحديث إلا أنهم لم يؤصلوا لسيميائية العلامة الإعرابية.

٢١٢ سحر مصطفى إبراهيم: أفنان البيان دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، دار الزهراء، ط الأولى ٢٠١٠م، ص ١٠.

٢١٣ المرجع نفسه، ص ١٢.

٢١٤ ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة،

١٩٩٤م، ص ٢١٤. (ينسب بعض الباحثين الكتاب لابن النقيب، وقد أقيمت بيانات الطبعة كما هي)

٢١٥ محمد إبراهيم البناء، الإعراب سمة العربية الفصحى، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد التاسع عشر، الجزء الأول

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

المطلب الثاني: سيمائية العلامة الإعرابية عند المحدثين

ربط العلماء المحدثون علامة الإعراب بالبلاغة وأثرها في رقي درجة الكلام وزيادة فضله على غيره، ومن أسباب الاهتمام وقوفهم على مباحث تؤدي بهم إلى ذكر أثر الإعراب في بلاغة الكلام لارتباط الموضوعين، ومن ذلك اهتمام العلوم اللغوية والشرعية بالإعراب لأهميته، ومنها ضرورة الإعراب لمعرفة أسرار القرآن الكريم، فالربط ضروري بين الإعراب والوظيفة البلاغية.^{٢١٦} ولما لم يظهر عند القدامى علم يدرس النص ويبحث في أسباب تماسكه ووسائل ترابط أجزائه وتلاحمها استدركت الدراسات اللغوية والأدبية في العصر الحديث هذا الأمر، فالعلاقات الوظيفية الواردة داخل الجملة يمكن أن تسقط على مستوى النص؛ فوسعوا علم النحو ليشمل النص ويبحث في العلاقات القائمة بين جملة المتتالية.^{٢١٧}

وقد حاول بعض العلماء وضع أسس ونظريات كاملة لسيمائية العلامة الإعرابية ومن هذه النظريات: أن الفتحة تدل على العمل الإرادي؛ لأن فكي الفم عند إخراج صويته الفتحة يبتعدان الواحدة عن الأخرى، والذي يبعدهما ثلاث عضلات: الأولى عضلة قوية جداً عريضة وغلظتها تسمى الماضغة، وعضلة ثانية تساعد الأولى وهي الجناحية، وعضلة ثالثة هي الصدغية تساعد الثانية، فهذه ثلاث عضلات قوية لرفع الفك حتى يتمكن الفم من العض والقطع للمأكولات، وهذه العملية عملية إقفال الفم هي أساس حياة الإنسان لتلبية حاجته الأساسية ليعيش، وعملية الإقفال بفضل عضلاتها القوية أسهل وأيسر من عملية الفتح الضعيفة العضلات؛ فإخراج الفتحة أصعب من إخراج الضمة التي تقتضي فتحاً أقل من الذي للفتحة وهي أصعب بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحاً قليلاً للفم، حتى إن صويته الكسر قد تخرج ويكاد الفك يكونان منطبقين الواحد على الآخر، وإذا كان القدماء قد قالوا بخفة الفتحة وثقل الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له أساس في أعماق الإنسان، ألا وهو أن الكلام المفتوح يروق لما يوحي به من حركة ونشاط وحيوية وإرادة بالنسبة إلى الكلام المكسور الذي يشير إلى الرضوخ. أما الضم فإنه يدل على التراكم والتفاقم والسكون والركود والتمهل.^{٢١٨}

(٢١٦) أحمد المتوكل، الوظيفة الكلية والنمطية، "ط الأولى، الرباط ٢٠٠٣م، دار الأمان، ص ١٠٠.

(٢١٧) السابق ص ١٠٠.

^{٢١٨} أحمد الأخضر غزال، فلسفة الحركات في اللغة العربية، الرباط، ص ٢٣.

والمتمأمل يجد أن الرؤية السابقة تختلف عن رؤية القدماء للحركات الثقيلة، فبينما يرى القدماء الضمة هي الأثقل يرى بعض المحدثين أن الفتحة هي الأثقل، ولعل سبب الخلاف السابق يرجع إلى عدم مراعاة حال المتكلم والسامع، فقد تكون الفتحة أعذب وأخف في السماع، وإن كانت الأثقل نطقاً، ولهذا لا بد أن تحدد الدراسات اللغوية في هذا الباب وجه الدراسة؛ هل هي من وجهة نظر المتكلم أم السامع؟ ليتضح المراد بدقة من غير لبس، وسعي هنا في هذه الدراسة لتحليل هذه الرسالة من وجهة نظر المتكلم والسامع معاً.

وعليه فقد ربط العلماء المحدثون علامة الإعراب بالبلاغة وأثرها في رقي درجة الكلام وزيادة فضله، وقد حاول بعض العلماء وضع أسس ونظريات كاملة لسيمائية العلامة الإعرابية؛ حيث يرى بعضهم أن الفتحة تدل على العمل الإرادي، وعلل بعض الباحثين قول القدماء بخفة الفتحة وثقل الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي، وتختلف رؤية القدماء للحركات الثقيلة عن المحدثين، فبينما يرى القدماء الضمة هي الأثقل يرى بعض المحدثين أن الفتحة هي الأثقل، ولعل سبب الخلاف السابق يرجع إلى عدم مراعاة حال المتكلم والسامع معاً.

المطلب الثالث: استنباط القواعد السيمائية للضمة

يرى بعض النحاة أن الأصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل دائماً. يقول الأبيدي: "والرَّفْعُ علمُ الفاعلية".^{٢١٩} فلما كان إسناد الفعل إلى الفاعل أقل ووقوعه على المفعول أكثر، والرفع أثقل والنصب أخف أُعطيَ الأثقلُ الأثقلَ والأكثرُ الأخفَّ معادلةً بينهما، ولو عكس ذلك لكان عدولاً عن المعادلة، واستكثاراً لما يستقل في كلامهم. وتركاً للمناسبة وخروجاً عن قانون الحكمة.^{٢٢٠} فالأصول تدل على أن الرفع قبل النصب، لأن الرفع صفة الفاعل، والنصب صفة المفعول. وكما أن الفاعل قبل المفعول، فكذلك الرفع قبل النصب، وكذلك تدل الأصول على أن الرفع مثل الجزم، لأن الرفع في الأصل من صفات الأسماء والجزم من صفات الأفعال. وكما أن رتبة الأسماء قبل رتبة الأفعال، فكذلك الرفع قبل الجزم. فإن قيل: إن الرفع في الأسماء قبل الجزم في الأفعال. فلم قلت: إن الرفع في الأفعال قبل الجزم؟ قلنا لأن إعراب الأفعال فرع على إعراب الأسماء. وإذا ثبت ذلك في الأصل فكذلك في الفرع لأن الفرع تبع للأصل.^{٢٢١}

^{٢١٩} أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأبيدي، شهاب الدين الأندلسي (المتوفى: ٨٦٠هـ)، الحدود في علم النحو، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٤٤٨.

^{٢٢٠} ابن الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، مطبعة الجامعة السورية، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م، ص ٩٣.

^{٢٢١} السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، طبعة البيروتي ج ١ ص ١٤٠.

وأشكال الإعراب أربعة: الرفع وهو إعراب العُمد، والنصب وهو إعراب الفُضلات، قيل ووجه التخصيص أن الرفع ثقيل فُخِّصَ به العُمد، لأنها أقل إذ هي راجعة إلى الفاعل والمبتدأ والخبر، والفضلات كثيرة إذ هي المفاعيل الخمسة والمستثنى والحال والتميز، وقد يتعدد المفعول به إلى اثنين وثلاثة وكذلك المثني والحال إلى ما لا نهاية وما أكثر تداوله، فالأخف أولى به. والأصل أن يكون الرفع بالضممة.^{٢٢٢}

وإنما اختص الخفض بالاسم؛ لثقله، وخفة الاسم بواسطة مدلوله، وهو الذات، واختص الجزم بالفعل؛ لخفته، وثقل الفعل بتركب مدلوله، وهو الحدث، والزمان، فأعطى الثقيل للخفيف، والخفيف للثقيل؛ للتعادل.^{٢٢٣} (١)

ومعنى هذا التعادل: أن الاسم الخفيف إذا انضم إليه الخفض الثقيل كان معادلاً، وموازناً للفعل الثقيل المنضم إليه الجزم الخفيف، فخفة كل واحد تجبر ثقل الآخر، فتحصل معادلة بين الاسم، والفعل، وليس المراد التعادل بين الاسم وبين ما أعطى له، وبين الفعل وبين ما أعطى له؛ لأن هذا لا يحصل إلا إذا أعطى الاسم الجزم الخفيف، والفعل الخفض الثقيل.^{٢٢٤}

والرفع يكون بالضممة، وما عدا ذلك يكون نائباً عنه كما تنوب الواو عن الضمة في أخو، وقد وضح العُكْبَرِيُّ ذلك بالمثل في قوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ".^{٢٢٥} فقد وردت في الآية إحدى القراءات برفع الأرحام وهي قراءة غير مشهورة. ووردت قراءة بجرّ (الأرحام) عطفاً على الضمير في (به)، وقراءة بالنصب على تقدير (اتقوا الأرحام). أما قراءة الرفع فقد كان ابن جني يراها قوية وأدلى في إيضاح المعنى برغم عدم شهرتها، يقول: ينبغي أن يكون رفعه على الابتداء وخبره محذوف. أي الأرحام مما يجب أن تتقوه، وأن تحتاطوا لأنفسكم فيه، وحسن رفعه لأنه مؤكد في معناه.^{٢٢٦}

والمتمأمل لكلام علماء التراث يجد أنهم يتكلمون عن ربط الضمة بالعمد في الجمل وكذلك بالسبق، فكما قالوا إنها تأتي في العمدة كالمبتدأ والخبر، وهذا صحيح غالباً، وكذلك يصح قولهم بتقدمها؛ لأن الفاعل قبل المفعول كما نصوا عليه، وكان العلماء القدامى يتصورون أن الضمة أثقل من الفتحة،

^{٢٢٢} السيوطي: همع الهوامع: ج: ١: ص ٢١.

^{٢٢٣} أبو النجا: حاشية أبي النجا على شرح الشيخ خالد على متن الأجرومية. ص ٢٦.

^{٢٢٤} الأنباي: على حاشية أبي النجا على شرح الشيخ خالد ص ٥٤.

^{٢٢٥} سورة النساء: الآية ١.

^{٢٢٦} العكبري: إملاء ما من به الرحمن. ج ١. ص ٩٦.

وخالف بعض المحدثين ذلك، غير أن القدماء قالوا بخفة الفتحة وثقل الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي، فذلك له أساس في أعماق الإنسان، ألا وهو أن الكلام المفتوح يروق لما يوحي به من حركة ونشاط وحيوية.^{٢٢٧}

ومن خلال كلام القدماء والمحدثين نحاول أن نضع فروضاً سيمائية للضمة، ونترك للتطبيق العملي الحكم على صدق تلك الفروض من عدمه، وهذه محاولة استنباط الفروض السيمائية للضمة من كلام القدماء والمحدثين؛ فالفرض الأول: الرفع قبل النصب، والفرص الثاني: الرفع قبل الجزم، لأن إعراب الفعل فرع على الاسم، والفرص الثالث: الرفع أقوى الحركات ويستخدم في التراكم والتفاقم، والفرص الرابع: سيمائياً يمكن أن نقول: تدل الضمة على: التقدم والعلو والارتفاع.

المطلب الرابع: استنباط القواعد السيمائية للفتحة

الفتحة من وجهة النظر الوظيفية وحدة صوتية تكون جزءاً من نظام الحركات في اللغة العربية^{٢٢٨}؛ فالفتحة ذات وظيفة لا تقل عن أخواتها وهي وظيفة يمكن أن تقارن بوظائف الكسرة والضمة ولكن على وجه يراعى فيه ما تشغله الفتحة من مساحة واسعة في اللغة في الجمل وأشباه الجمل، فنحن نراها في المفعول به، يقول الأبيدي: "والنصب علمُ المفعولية"^{٢٢٩}، وكذلك الحال، والتمييز، والظرف، والاستثناء، والإغراء، والتحذير، والاختصاص، وبعض أساليب التعجب، والمفعول له، والمفعول معه، والنداء، وهذا قد يجعل وظائفها تصاب ببعض الغموض غير أنه لا يمكن أن يسلبها ما يتاح لها من وظائف.

وذكر سيبويه أنك إن قدمت المفعول به وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وإن كان تقديم الفاعل وبيانه أهم.^{٢٣٠} وقالوا عن المفعول به: إنه إنما ينصب إذا أسند الفعل إلى الفاعل فجاء هو فضلة.^{٢٣١} والمفعول به هو الذي يقع عليه فعل الفاعل.^{٢٣٢} ونرى وظيفة الفتحة في قوله تعالى: "إِنَّمَا

^{٢٢٧} فلسفة الحركات، في اللغة العربية، الأستاذ الدكتور أحمد الأخضر غزال، مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، ص ٢٣.

^{٢٢٨} كمال بشر، دراسات في علم اللغة العربية، القسم الأول: ص ١٢١.

^{٢٢٩} أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأبيدي، شهاب الدين الأندلسي (المتوفى: ٨٦٠هـ)، الحدود في علم النحو، تحقيق: نجاه حسن عبد الله نولي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٤٤٨.

^{٢٣٠} سيبويه، الكتب ج ١. ص ٣٤.

^{٢٣١} ابن جني، الخصائص ج ١. ص ١٨٥.

^{٢٣٢} الزمخشري، المفصل. ص ٣٤. طبعة بيروت دار الجيل.

يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" ٢٣٣ حيث يُقرأ برفع (العلماء) وقد ذكر العكبري قراءة أخرى برفع اسم (الله) ونصب (العلماء) على معنى إنما يعظم الله من عباده العلماء؛ فالفتحة في المفعول به (العلماء) دلت على تغاير في المعنى بسبب وظيفتها، فحين يأتي اسم الله تعالى منصوباً يكون له من الوضع غير ما هو مرفوع. ٢٣٤

وقوله تعالى: "الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ" ٢٣٥ بنصب الزانية والزاني في إحدى القراءتين، والأخرى بالرفع وفيها يعرب الاسم مبتدأ، أما قراءة النصب فقد قال فيها ابن جني: منصوب بفعل مضمر أي اجدوا الزانية والزاني، فلما أضمر الفعل الناصب فسره بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة. ٢٣٦

ونلاحظ من هذه الآراء أن وظيفة الفتحة في الأبواب مختلفة؛ فهي إما أن ترشد إلى مكان تأثير معين فتحدد وظائف الكلمات، أو ترفع الإبهام، أو تشرح لنا عبارة موجزة، أو تهيئنا إلى مشاركة أو مغايرة في الحكم، ووظيفة الفتحة في الفعل المضارع أن تجعله للاستقبال، كما أنها تجعل الجملة التي تحتوي على الفعل المضارع المنصوب تتحدد علاقتها مع سابقتها على وجه معين، وهو وجه يشبه العبارة الصرفية، والفتحة أصعب الحركات عند المعاصرين، فإخراج الفتحة أصعب من إخراج الضمة التي تقتضي فتحاً أقل من الذي للفتحة. ٢٣٧ ومن خلال كلام العلماء السابق نحاول أن نستخرج الفروض السيمائية للفتحة، ثم نترك للتطبيق الحكم عليها، وهذه الفروض هي: أولاً: تدل الفتحة على تأثير معين، ثانياً: تدل على الأمور الاختيارية، ثالثاً: هي أصعب الحركات نطقاً وأعذبها سماعاً، رابعاً: تحدد وظائف الكلمات، خامساً: ترفع الإبهام، سادساً: سيمائياً يمكن أن نقول: تدل الفتحة على التأثير في الغير أو الفعل الاختياري.

المطلب الخامس: استنباط القواعد السيمائية للكسرة

يسمي النحاة العمل الذي ينتج من الكسرة الجر، وسبب هذه التسمية ناتج من معناه، إذ المقصود به الإضافة، وذلك أن الحروف الجارة تجر ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها، كقولك مررت بزيد، فالباء أوصلت مرورك إلى زيد، وبهذا قال البصريون، وذهب جماعة منهم ومن الكوفيين إلى تسميته خفضاً

٢٣٣ سورة فاطر، الآية ٢٨.

٢٣٤ العكبري، إملأ ما من به الرحمن. ص ١٥.

٢٣٥ سورة النور. الآية ٢.

٢٣٦ ابن جني، المحتسب ج ٢. ص ٣٢.

(٢٣٧) أحمد الأخضر غزال فلسفة الحركات، في اللغة العربية، الأستاذ، مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، ص ٢٣.

وفسروه كتفسير الرفع والنصب، فقالوا: لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به وميله إلى إحدى الجهتين. ^{٢٣٨} يقول الأبيدي: "الجرُّ عَمُّ الإضافة" ^{٢٣٩}

والكسرة تختص بالأسماء دون سواها من الكلم، واختلف النحاة في طريقها اللغوي: هل هي طريق ضيقة أم أنها واسعة الانتشار؛ فذهب جماعة إلى أن طريقها واسعة، وذهب آخرون إلى أن الكسرة في اللغة ضيقة جدًا حين تُقارن بحركتي الرفع أو النصب؛ وذلك لأنها تختص بالأسماء فقط، ولذلك ضاقت حلقها ولم تتسع. ولقد اقتصت بباب الإضافة فقط لا تتجاوز له لسواه، وقد قال في ذلك سيبويه: هذا باب الجر، والجر إنما يكون في كل اسم مضاف إليه. ^{٢٤٠} فقوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مُلْكِ يَوْمِ الدِّينِ" ^{٢٤١} في هذه الآيات توجد الكسرة في الكلمات: الله، رب، الرحمن، الرحيم، مالك. ولكن اللام لم تدخل إلا على الاسم الأول، ولكن دخول الكسرة على الكلمات الأخريات يشير إلى أن هناك رابطة قوية تجمع بينها بفضل هذه الكسرة، فاللام قد أثبتت الحمد لله وأوجبته له، ولما جُرَّ الاسم الكريم تبعته صفات تلزم أن تُجرَّ هي الأخرى بالكسرة ليتبع ثبوت الربوبية والرحمة والملك له تعالى دون سواه أو وجوب الإقرار بذلك من المرء. وذكر ابن خالويه أن علامة جر اسم الجلالة (الله) كسرة الهاء فإن قدمت أو أخرت فالإعراب والمعنى سواء، الله الحمد أو الحمد لله. ^{٢٤٢}

وهناك دور عظيم للكسرة تقدمه لنا في فهم اللغة وتحديد مقاصد الألفاظ العربية التي أنشأت هذه الحركة واقتصت بها وجعلتها من مميزات قولها في حال الحروف الجارة والإضافة؛ فإعرابها مما يؤكد لنا أن هذه الكسرة الإعرابية قد نشأت لعلة معنوية، وهي الربط بين أجزاء الكلمات، ويقوم بدور العلة بينها وبين ما ترمي إليه. ^{٢٤٣}

ويرى العلماء المحدثون أن الكسرة أخف الحركات فهي تقتضي انفتاحًا قليلًا للهم حتى إن صويته الكسر قد تخرج ويكاد الفكان يكونان منطبقين الواحد على الآخر، ولذلك قال القدماء بخفة الفتحة وثقل

(٢٣٨) الزجاج، الإيضاح، ص ٩٣.

(٢٣٩) أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأبيدي، شهاب الدين الأندلسي (المتوفى: ٨٦٠هـ)، الحدود في علم النحو، تحقيق: نجاة حسن عبد الله نولي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢ - السنة ٣٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٤٤٨.

(٢٤٠) سيبويه، الكتاب ج ١، ص ٢٠٩.

(٢٤١) سورة الفاتحة: الآيات ٢-٤.

(٢٤٢) ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة، ص ٢١.

(٢٤٣) إيمان بشير سليمان بشارة، العلامة الإعرابية في الجملة العربية ووظيفتها النحوية: دراسة نحوية وصفية تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة: جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٦م، ص ١٥٠.

الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي، ويمكن أن نقول هي الأسهل على الناطق والأصعب على السامع. ٢٤٤

ومن خلال ما سبق نحاول أن نستنبط الفروض السيمائية للكسرة وهي: أولاً: تختص الكسرة بالأسماء دون سواها من الكلم، وثانياً: ذهب جماعة إلى أن طريقها واسعة، وذهب آخرون إلى أن الكسرة في اللغة ضيقة جداً حين تقارن بحركتي الرفع أو النصب، وثالثاً: لها علة معنوية هي الربط بين أجزاء الكلمات، ورابعاً: هي أسهل الحركات نطقاً وأصعبها سماعاً، وخامساً: صعوبة الكسرة سماعياً ترتبط بالأمور شديدة الصعوبة عند التطبيق.

المطلب السادس: بيان عددي

إن المعالجة الآلية والإحصائية للغة في العصر الحديث لا تعني بحال عدم تفتن القدماء لمعالجة اللغة معالجة رياضية إحصائية، فقد عُرف الخليل بن أحمد بإحصاء مفردات اللغة العربية بطريقة رياضية دقيقة، وكانت محاولته تلك أول محاولة من نوعها في تاريخ العربية؛ وذلك باستخدامه نظريتي (التوافق والتبادل) لجميع الأحرف الهجائية بالنسبة لأحجام الكلمات المعروفة في اللغة العربية وهي الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي؛ مما أنتج من الثنائي ٧٥٦ احتمالاً (أي حاصل ضرب ٢٨ × ٢٧)، وفي الثلاثي ١٩٦٥٦ احتمالاً (أي حاصل ضرب ٢٨ × ٢٧ × ٢٦)، وفي الرباعي ٤٩١٤٠٠ احتمالاً (أي حاصل ضرب ٢٨ × ٢٧ × ٢٦ × ٢٥)، وفي الخماسي ١١،٧٩٣٦٠٠ (أي حاصل ضرب ٢٨ × ٢٧ × ٢٦ × ٢٥ × ٢٤). كما أن تجمع أحرف أي كلمة في الثلاثي أنتج عنده ست صور، وفي الرباعي أربعاً وعشرين صورة، وفي الخماسي مائة وعشرين صورة.

ونحاول في هذه الدراسة توظيف منهج الإحصاء الرياضي في دراسة سيمائية العلامة الإعرابية في رسالة الإمام السالمي مع الاستعانة بنظام الإحصاء الموجود ضمن برنامج (مايكروسفت أوفيس 2013 Microsoft Office). والذي قدم لنا هذه المعطيات الإحصائية:-

جاء ترتيب العلامات الإعرابية على الترتيب التالي:

أولاً: الكسرة، وقد جاءت إجمالاً مع تنوينها أكثر من (٥٦) مرة.

ثانياً: الفتحة، وقد جاءت مع تنوينها أكثر من (٦٠) مرة.

(٢٤٤) فلسفة الحركات، في اللغة العربية، الأستاذ الدكتور أحمد الأخضر غزال، مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط،

ثالثاً: الضمة، وقد جاءت مع تنوينها أكثر من (٦٧) مرة.

المطلب السابع: الدلالة السيمائية للكسرة

إن العلاقة بين الأصوات والنحو في لغة معربة كالعربية أظهر من أن يتوقف المرء عندها طويلاً ليكتشف أبعادها، والأدلة التي توضح ذلك كثيرة، فالظاهرة الإعرابية ظاهرة صوتية في الأصل، ووظفت توظيفاً نحوياً حتى أوشك العلماء والباحثون أن ينسوا أصل الظاهرة لشدة تعلقهم بأثرها النحوي، فصار الإعراب بكل تجلياته الصوتية ذا بعد واحد هو البعد النحوي، مع أنه ذو بعدين متلازمين هما: البعد الصوتي، والبعد النحوي.^{٢٤٥}

ولهذا حاولت في المطالب السابقة الوقوف على القواعد النظرية لسيمياء العلامة الإعرابية، وأحاول في هذا المطلب وما يليه أن أدخل إلى الحقل التطبيقي في ساحتين وهما: الحقل الدلالية، والصورة الشعرية بوصفها نواتج للأثر الصوتي.

جاءت الكسرة غالباً في الحقل الدلالي الخاص، ونذكر فيما يلي (٥٦) مفردة جاءت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع علامة الجر الكسرة وهي: (التثنية. المذهب. الآراء. افتراق. الأمة. حسب. وللتفرق. الحظوظ. العاجلة. الرئاسة. الأمة. الفطرة. الإسلامية. تشعب. الخلاف. الأرض. قلوبهم. الجمع. الطرق. ترك. الألقاب. المذهبية. بالإسلام. الله. الإسلام. هذه. الخصلة. العظيمة. لنفسه. آحاد. الرجال. الفطرة. الإسلام. عليه. قبوله. المغرم. الملوك. البلاد. لهذه. الدعوة. الوحي. الخاص. والعام. الله. الكل. به. به. بالحق. إليه. ضرورة. التمييز)

التحليل السيميائي للكسرة:

إن كان افتراض النحاة السابقين يتلخص في: اختصاص الكسرة بالأسماء دون سواها من الكلم، فيمكن القول: إن هذا الافتراض صحيح، وهو ما يرجح قوة الجواب لكثرة ورود الأسماء فيها أكثر من الأفعال بناء على القاعدة القائلة: إن الأسماء أقوى في الوصف من الأفعال، والتعبير بالجملة الاسمية أثبت من التعبير بالجملة الفعلية. ويُراد بالجملة الاسمية الجملة التي صدرها اسم، نحو: محمد حاضر، والجملة الفعلية هي الجملة التي صدرها فعل، نحو: حضر محمد، ولكل من الجملة الاسمية والفعلية دلالة بلاغية بيانية؛ فالجملة الاسمية دالة على الثبوت؛ لوجود الاسم فيها، باعتبار أن الجملة الاسمية في ذاتها ليست دالة على الثبوت، وإنما باعتبار ما تضمنته من اسم، والجملة الفعلية دالة على الحدوث

^{٢٤٥} سمير إستيتية، علم الأصوات النحوي، ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.

والتجُّد، وإنما ذلك من جهة كَوْن الفعل أحد مُكوّناتها؛ فالحدوث والتجُّد هما للفعل، وليس للجملة الفعلية؛ وإنما قيل: إن الجملة الاسمية دالة على الثبوت، والجملة الفعلية دالة على الحدوث والتجُّد.

٢٤٦

وأما الخلاف القائم عند النحاة في سعة وانتشار الكسرة؛ فقد ذهب جماعة إلى أن طريقها واسعة، وذهب آخرون إلى أن الكسرة في اللغة ضيقة جداً، وذلك حين تقارن بحركتي الرفع أو النصب، فقد برهنت الرسالة يقيناً أنها أقل الحركات انتشاراً وسعة، وتبين صحة الفرض القائل بضيق انتشارها، وذلك في حدود رسالة الإمام السالمي. فقد ثبت إحصائياً أن: الكسرة جاءت إجمالاً مع تنوينها (٥٦) مرة.

وأما الفرض القائل: إنها تربط بين أجزاء الكلمات، فهو افتراض عام لكنه سليم، فهناك ربط واضح بين معجم التفرق والكسرة، فقد جاءت الكسرة غالباً في الحقل الدلالي الخاص بالتفرق، وقد وردت مفردات تدل على التفرق منها: (التشتيت. المذاهب. الآراء. افتراق وللتفرق. الحظوظ. العاجلة. الرئاسة. تشعب. الخلاف. ترك. لألقاب. المذهبية. آحاد. المغرم. الملوك. البلاد. الخاص. العام. التمييز) فالحقل الدلالي للتفرق جاء مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً مع علامة الجر وهي الكسرة.

ونخلص من كلامنا السابق إلى أن الكسرة جاءت غالباً في الحقل الدلالي الخاص بالتفرق، ولعل طبيعة الموضوع وهو الحديث عن التفرق أدى إلى ذلك، وكان افتراض النحاة السابقين المتلخص في أن اختصاص الكسرة بالأسماء دون سواها افتراض صحيح، والفرص القائل بسعة الكسرة وانتشارها حين تقارن بحركتي الرفع أو النصب. فقد برهنت رسالة الإمام السالمي يقيناً على أن الكسرة ليست أكثر الحركات انتشاراً وسعة، وتبين صدق الفرض القائل بضيق انتشار الكسرة، وذلك في حدود الرسالة.

المطلب الثامن: الدلالة السيمائية للضمة

قد جاءت الضمة غالباً في الحقل المعجمي الخاص بجمع الأمة عن طريق التجرد وتعظيم أمر الله ونبذ الأهواء، ولعل هناك ارتباطاً وثيقاً بين الضمة والتعظيم أشار إليه الألويسي في روح المعاني عندما وقف على تفسير قوله تعالى: "وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَةٌ أَوْ كَرًا عَظِيمًا" إذ يقول: قرأ الجمهور: عليه. بكسر الهاء، كما هو الشائع، وضمها حفص هنا، قيل: وجه الضم أنها هاء هو وهي

(٢٤٦)فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية: تأليفها وأقسامها، ص ١٥٧.

مضمومة فاستُصحب ذلك؛ كما في له وضربه. وحَسُنَ الضمُّ في الآية للتوصّل به إلى تفخيم لفظ الجلالة الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام، وأيضًا إبقاء ما كان على ما كان ملائمًا للوفاء بالعهد وإبقائه وعدم نقضه، وقد سألت كثيرًا من الأجلة وأنا قريب عهد بفتح فمي للتكلم عن وجه هذا الضم هنا، فلم أُجِبْ بما يسكن إليه قلبي، ثم ظفرت بما سمعت، والله تعالى الهادي إلى ما هو خير منه. ٢٤٧

ولعل ما شعر به الأوسيّ من وجود علاقة بين الضم وتعظيم عهد الله والتزام حبل الله هو ما نريد إثباته في هذه الرسالة، فهذه هي الكلمات المضمومة التي جاءت في هذا الحقل الدلالي: (نوافقُ. السببُ. الأعظمُ. اقتضاهُ. نظرُكمُ. الواسعُ. طلبُ. وجمعُ. أرادَهُ. اللهُ. إنَّهُ. وأقربُ. لهُ. ويحضُّهمُ. الناسُ. المرءُ. يلتمسُ. ويكونُ. الحقُّ. دعايةُ. الصلاةُ. والسلامُ. وتضمحلُّ. الناسُ. يضلُّ. الملوكُ. والأمراءُ. الناسُ. أوفقُ. مهبطُ. ومترددُ. الملائكةُ، ومقصدُ. حرمُ. الأمنُ. لأنهُ. مرجعُ. تجدنا. نقلُ. ونردُّ. ونعرفُ. فالكبيرُ. وافقهُ. والصغيرُ. خالفهُ. ابنُ. كلُّ).

التحليل السيميائي للضمة من المنظور المعجمي في رسالة الإمام السالمي

أحسن الشيخ توظيف سيميائية علامة الرفع وهي الضمة؛ فقد ربط بين المفردات الدالة على الوحدة وأسبابها وعلامة الرفع؛ لما يشعر به الضم من الوحدة، وأيضًا لأن الوحدة تصدر ابتداء عن شعور بالتجرّد؛ فقد جاءت مفردات الرسالة بحركاتها متنسقة من المنظور السيميائي حيث يترسب شعور في العقل الجمعي بين الضم والوحدة، فلا يضم الإنسان إلا من اتفق معه قلبًا وقالبًا.

وقد صح هنا افتراض النحاة القائل: إن الرفع أكثر من السكون، وصح الافتراض القائل إن الرفع قبل النصب، وذلك إن قصدوا بالقبليّة سعة الانتشار؛ فقد وردت الفتحة مع تنوينها أكثر من (٦٠) مرة، بينما وردت الضمة مع تنوينها ما يقرب من (٦٧) مرة.

ونخلص من هذا المطلب إلى أن الضمة غالبًا جاءت في الحقل المعجمي الخاص بجمع كلمة الأمة، وأن الإمام السالمي أحسن توظيف سيميائية علامة الرفع وهي الضمة؛ فقد ربط بين المفردات الدالة على وحدة الأمة وعلامة الرفع، وقد صح هنا افتراض النحاة القائل: إن الرفع أكثر من السكون فالضمة قد جاءت مع تنوينها أكثر من (٧٦) مرة، وقد ورد السكون ما يقرب من (٣٦) مرة، وصح الافتراض القائل إن الرفع قبل النصب، وذلك إن قصدوا بالقبليّة سعة الانتشار.

٢٤٧ الأوسيّ، روح المعاني، (٢٥٢/١٣)



المطلب التاسع: الدلالة السيمائية للفتحة

جاء الفتح في رسالة الإمام السالمي أساساً مع الألفاظ التي تدل على الرجوع إلى أصل الحق، وبعض الحروف والمعاني الهامشية، ومن أبرز الكلمات التي وردت في هذا الحقل الدلالي: (أَنَّ منشأً. وهو. بعد. أراد. كان. لفتت. بين. ولكن. الله. ألف. بينهم. حالة. الناس. إن. الدين. عند. أجاب. بعد. الحق. عند. ثم. يرجع. وهي. فيصير. ضل. جاب. ذلك لأسرع. مؤونة. تعذر. وليس. الإسلام. ثم. الحق. جاء. كان. جاء. كان. الرجال. عندنا. وافقه. حين. ذهب)

التحليل السيميائي للفتحة من المنظور المعجمي الرسالة

وُفق الإمام السالمي في الربط بين الحركة الإعرابية الفتحة والأمور الاختيارية وعلى رأسها وحدة الأمة، وكأن الشيخ جعل الفتحة التي تصدر عنها أفعال إرادية جاءت هنا لتدل من وجهة النظر السيمائية على أن الوحدة قديماً كانت عن إرادة صادقة، ولم تكن بمحض المصادفة.

وإن كان النحاة السابقون افترضوا أن الفتحة تدل على أمور منها: أنها ترشد إلى مكان تأثير معين، وتحدد وظائف الكلمات وترفع الإبهام، وتشرح لنا عبارة معجزة، فيمكن أن نتلمس ذلك بوضوح مع الأفعال الاختيارية الإرادية التي وردت في الرسالة، وهو ما يبرهن على سعة أفق النحاة قديماً وحديثاً؛ فيمكن القول: إن وحدة الأمة متوقفة على الإرادة الصادقة، وأما عن صعوبة الفتحة من حيث النطق عند المحدثين فيمكن ربط هذه الصعوبة سيميائياً بصعوبة جمع كلمة الأمة، وأما سهولتها على المستمع كما فسرناه، فيمكن ربطها سيميائياً بعذوبة سماع الكلام عن وحدة الأمة وشوق القلوب لذلك، فإن الأذن تطرب لسماع الحديث عن وحدة الأمة ولا تملُّ من ذلك الحديث ولو طال الكلام فيه.

ونخلص مما سبق إلى أن الفتح جاء في الرسالة مع الألفاظ التي تدل على العمل الإرادي، وقد نجح الإمام السالمي في الربط بين الحركة الإعرابية الفتحة وبين الإرادة الصادقة في الوحدة، وكأن الشيخ جعل الفتحة التي تصدر عن أفعال إرادية جاءت هنا لتدل من وجهة النظر السيمائية على أن الوحدة قديماً كانت عن إرادة صادقة، وإن كان النحاة السابقون افترضوا أن الفتحة تدل على أمور منها: أنها ترشد إلى مكان تأثير معين، وتحدد وظائف الكلمات وترفع الإبهام، فيمكن أن نتلمس ذلك بوضوح مع الأفعال الاختيارية الإرادية التي وردت في الرسالة وهو ما يبرهن على سعة أفق النحاة.

المطلب العاشر: مقارنة إحصائية سيمائية

بلغ عدد كلمات الرسالة كلمة (٢٤١)، وقد جاءت الحركات على النحو التالي: أولاً: جاءت الكسرة إجمالاً مع تنوينها أكثر من (٥٦) مرة أي بمعدل تقريباً ٢٣٪، ثانياً: الفتحة، وقد جاءت مع تنوينها أكثر من (٦٠) مرة وهو ما يعني أنها جاءت بمعدل ٢٤٪ تقريباً. ثالثاً: الضمة، وقد جاءت مع تنوينها أكثر من (٦٧) مرة، أي بمعدل ٢٧٪ تقريباً. وذلك يعني ما يأتي:-

أولاً: أن الشيخ تكلم عن عوامل التفرق بمعدل ٢٣٪ .

ثانياً: جاءت الأفعال الإرادية في هذه الرسالة في المرتبة الثانية بمعدل ٢٤٪ وهو ما يعني الحرص على وحدة الأمة والإرادة القوية لذلك، فالأمة المهزومة نفسياً لا يمكن أن تصدر قراراً ذاتياً، ولا بد أن تكون تابعة لمستعمر أو محتل، وكذلك الحال بالنسبة للأمة الضعيفة بدنياً، لا طاقة لها بلقاء العدو دفعاً أو طلباً، ولعل هذا ما جعل الشيخ يقدم الإرادة على أسباب التفرق.

ثالثاً: جاءت الضمة التي تمثل أسباب الوحدة ٢٧٪ وهو ما يبين حرص الإمام على أسباب الوحدة.

خلاصة البحث، وأهم نتائج الدراسة في الجانبين الفكري واللغوي

١. المدخل الحقيقي لضمان وحدة الأمم لغاتها. واللغة العربية هي العاصم لهذه الأمة من التشرذم، والتفرق، وقد برز في العربية قديماً علماء كُثُر ولم يلجؤوا للغة أجنبية تعبر عن علومهم، وتمسكوا بوحدة اللغة التي هي وحدة لأمتهم. والأمل معقود اليوم على المؤسسات في وحدة الأمة، وأبرز هذه المؤسسات هي: المجامع اللغوية ومكاتب تنسيق التعريب.

٢. إن وحدة الأمة مقصد شرعي ينبغي توظيف المعطيات العلمية والثقافية كافة للوصول إليه، فنظرية النظم عند الإمام عبد القاهر الجرجاني وما حملته من مفاهيم الاتساق والانسجام من النظريات اللغوية العربية تدعو لقراءة النص قراءة كلية، حيث يمكن توظيف مفردات هذه النظرية في وحدة الصف، فكل مفردات ومصطلحات النظرية تدعو إلى الوحدة، وتدعو لقراءة النص قراءة كلية بعيداً عن التفكك، وهو ما يبرز مقصد المتكلم في أوضح صورة ويبلغه للسامع في أكمل صورة، الأمر الذي يجنبنا كثيراً من الخلافات التي لا طائل من ورائها.

٣. من أسباب تفرق الأمة الزندقة والطعن في الإسلام من قبل أعدائه، والتعصب العرقي، والخلاف السياسي، والتعصب المذهبي.

٤. المذاهب هي وجهة نظر المجتهد في المسائل المستحدثة بناء على أصول المذهب، فالمذاهب خلافها خلافٌ ببناء، وهو خلاف تتوُّع وثرء، وليس خلاف تضاد، واختلاف المذاهب نعمة كبيرة، وفضيلة عظيمة، وخصيصة فاضلة لهذه الأمة، وتوسيع في هذه الشريعة السمحة السهلة، ولهذا انتقل كثير من العلماء بين المذاهب بلا حرج.

٥. المطلع على تراث الإمام السالمي يجد حرصه على دعوة الأمة إلى الوحدة ونبذ الافتراق والاختلاف عن طريق الدعوة للتسامح، ولهذا نادى الإمام بالألقاب المذهبية في سبيل التقريب بين أبناء الأمة. وكلام السالمي يوافق كلام العلماء السابقين.

٦. دعا السالمي إلى احترام المخالف، خاصة إذا كان مقلداً، فالمقلد لا يملك أدوات الاجتهاد، ويرى السالمي أن التمسك بالدليل والأخذ به هو السبيل إلى الوحدة للترابط عند المجتهدين، وقد تضافرت المذاهب الإسلامية على إنكار البدع.

٧. دعا السالمي إلى الرجوع للظاهر حال الاختلاف لجمع كلمة الأمة، وعدم صرف النص عن ظاهره بلا قرينة واضحة، وقد وافق السالمي أئمة الإسلام مثل: الفخر الرازي، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية وغيرهم.

٨. من عوامل وحدة الأمة عند السالمي التمسك بالسنة النبوية الشريفة؛ فهي تجمع ولا تفرق، وبهذا يتفق السالمي مع علماء المذاهب في كل مكان وزمان، حيث ذكروا أهمية التمسك بالكتاب والسنة قولاً وعملاً، وقد حذر السالمي من التعصب المذهبي لأنه مَعُولٌ هدم في وحدة الأمة.

٩. تتجلى وظائف اللغة في الوظائف الانفعالية، التأثيرية، والنسبية، والماوراء لغوية، والشعرية، والاستمرارية، وتؤثر اللغة في الفكر؛ حيث يؤدي فقدان اللغة عند الصمّ البكم إلى عجزهم عن عمليتي التجريد والتصميم، ويؤدي بالتالي إلى عدم تطور النشاط العصبي الأعلى.

١٠. تهتم بعض حقول علم النفس بطبيعة العلاقة بين اللغة والفكر. وتتلخص آراء العلماء في أن اللغة والتفكير شيء واحد، وأن التفكير يسبق اللغة ويؤثر فيها، وأن العلاقة بين التفكير واللغة علاقة تفاعل. والحقيقة أنه لا يمكن الفصل بأي صورة من الصور بين اللغة والفكر، إذ لا معنى لفكر من غير لغة، ولا للغة من غير فكر.

١١. يتفق علماء أصول الفقه على اشتراط العلم بالعربية للمجتهد من حيث الجملة، وإنما اختلفوا في القدر المشترط، وأما الشاطبي فقد اشتراط بلوغ المجتهد مبلغ الأئمة في العربية.

١٢. حين نصل لمراجعة موقف المتكلمين في أصول الفقه من العلاقة بين اللغة العربية والمنطق وبين علم أصول الفقه الجامع بين العقل والنقل فإننا سنجد أنهم جعلوا علم أصول الفقه مستمداً من اللغة العربية.

١٣. ورد العطف بالواو (٣٦) مرة في جواب السالمي، وتنوع الربط بين الاسم والفعل والحرف. وجاء العطف بالفاء (٩) مرات مع الاسم والفعل والحرف، بينما جاء العطف بثم مرة واحدة. ولعل كثرة استخدام حرف الواو في العطف يدل على رغبة الشيخ في جمع شمل الأمة؛ لأن الواو تقتضي مطلق الجمع. وقد جاءت الفاء تسع مرات وهي تدل على الترتيب والتعقيب، ولعلها تدل على رغبة

الشيخ في سرعة جمع كلمة الأمة. وجاءت ثم مرة واحدة لتدل على خطورة التواني في جمع كلمة الأمة.

١٤. استخدم الشيخ التقديم والتأخير بوصفه تقنية من تقنيات التماسك النصي مقدماً الأهم على المهم؛ فمثلاً قدم (التفرق) على (أسبابه)، وهذا يعني أنه يحارب التفرق أياً كانت أسبابه، ولذلك كرر التقديم والتأخير مع أسباب التفرق، ثم قدم وحدة الأمة على العصبية المذهبية لإغفال الأخيرة، وتعبيره عن الأمة بالضمير (نا) دليل على الحرص على وحدة الأمة في مواجهة أسباب التفرق والفرقة.

١٥. الشيخ صدر جوابه ب(نعم) لكونها حرف تصديق للكلام، فهي تدل على تصديق السائل أن جمع الأمة ممكن ولما كانت (نعم) مشتقة من النَّعْمَاءِ وَالنَّعِيمِ كان السبيل لجمع كلمة الأمة في نظر الشيخ باللين، لا بالعنف والمخاشنة، لأن مادة (نعم) هي رقة الشيء وليونته وخلوه من الغلظة والخشونة.

١٦. وردت الضمائر في الرسالة (١٥) مرة وقد وردت الضمائر في جواب الشيخ بكثرة. ولعل السبب في ذلك أن الشيخ يرى أن أول أسباب الوحدة أن يتخلى الناس عن المسميات، أو أن تختفي شخوصهم وذواتهم، وهذا ما يبرر غزارة استخدام الضمائر فضلاً عن التماسك النصي الذي تحققه والضمائر في الإحالات المختلفة يبقى لها دلالة أخرى وهي تقديم الأمة على الفرد أو الشخص وهو ما يضمن عدم التعصب للأشخاص والرجال.

١٧. أكثر الشيخ من استخدام المقابلات لما تحققه من تماسك نصي، فضلاً عن دورها في بيان حال الأمة التي تمتلك كل مقومات الوحدة؛ ولهذا نجد السالمي استخدم القيمة البلاغية للمقابلة ليوظ العقول والقلوب.

١٨. جاء ترتيب العلامات الإعرابية في رسالة السالمي: الكسرة أكثر من (٥٦) مرة، والفتحة، أكثر من (٦٠) مرة، والضممة أكثر من (٦٧) مرة.

١٩. برهنت الرسالة يقيناً أن الكسرة أقل الحركات انتشاراً وسعة، وبينت صحة الفرض القائل بضيق انتشارها في حدود الرسالة، وثمة ربط واضح بين معجم الالفاظ الدالة على التفرق والكسرة، فقد جاءت الكسرة غالباً في الحقل الدلالي الخاص بالتفرق، وكان افتراض النحاة السابقين المتلخص في أن اختصاص الكسرة بالأسماء دون سواها افتراضاً صحيحاً، كما برهنت الرسالة يقيناً على أن الكسرة ليست أكثر الحركات انتشاراً وسعة، وتبين صدق الفرض القائل بضيق انتشار الكسرة، وذلك في حدود الرسالة.

٢٠. جاءت الضمة غالباً في الحقل المعجمي الخاص بجمع كلمة الأمة، فقد أحسن السالمي توظيف سيمائية علامة الرفع وهي الضمة، إذ ربط بين المفردات الدالة على وحدة الأمة وعلامة الرفع، وقد صح هنا افتراض النحاة القائل: إن الرفع أكثر من السكون، فالضممة قد جاءت مع تنوينها أكثر من

(٦٧) مرة، وقد ورد السكون ما يقرب من (٣٦) مرة، وصح الافتراض القائل إن الرفع قبل النصب، وذلك إن قصدوا بالقبلية سعة الانتشار.

٢١. جاء الفتح في الرسالة مع الألفاظ التي تدل على العمل الإرادي، وقد نجح الشيخ في الربط بين الحركة الإعرابية الفتحية وبين الإرادة الصادقة في الوحدة، وكأن الشيخ جعل الفتح التي تصدر عن أفعال إرادية جاءت هنا لتدل من وجهة النظر السيمائية على أن الوحدة قديماً كانت عن إرادة صادقة، وإن كان النحاة السابقون قد افترضوا أن الفتح تدل على أمور منها: أنها ترشد إلى مكان تأثير معين، وتحدد وظائف الكلمات وترفع الإبهام، فيمكن أن نتلمس ذلك بوضوح مع الأفعال الاختيارية الإرادية التي وردت في الرسالة، وهو ما يبرهن على سعة أفق النحاة.

٢٢. تكلم السالمي عن عوامل التفرق بمعدل ٢٣٪. وجاءت الأفعال الإرادية في هذه الرسالة في المرتبة الثانية بمعدل ٢٤٪ وهو ما يعني حرص السالمي على وحدة الأمة والإرادة القوية لذلك، فالأمة المهزومة نفسياً لا يمكن أن تصدر قراراً ذاتياً، ولا بد أن تكون تابعة لمستعمر أو محتل، وكذلك الحال بالنسبة للأمة الضعيفة بدنياً، لا طاقة لها بلقاء العدو دفعاً أو طلباً، ولعل هذا ما جعل الشيخ يقدم الإرادة على أسباب التفرق.

٢٣. جاءت الضمة التي تمثل أسباب الوحدة ٢٧٪ وهو ما يبين حرص الشيخ على أسباب الوحدة.

وتوصي الدراسة بتوجيه نظر الباحثين النحويين إلى الدراسات السيمائية ذات العلاقة ونحو النص في ضوء اللغة والفكر؛ للوقوف على أفق جديدة تنرّي درس النحوي الحديث؛ مما يفتح الباب أمام الباحثين لتقديم أطروحات وبحوث تخدم هذا التوجه بشكل جدي وتربطه بترائه التليد، وتدعو الدراسة إلى تسليط الضوء على رسائل الأئمة الأعلام التي تدعو إلى الألفة ونبذ التعصب، والوقوف على المراسلات التي كانت بين العُمانيين وغيرهم فيما يتعلق بالوحدة الإسلامية.

وتوصي الدراسة أيضاً ترسيخاً لدعائم الدولة ونبذ الفتنة وصور التكفير بمطالبة الهيئات الدينية والشبابية والاجتماعية وغيرها باستصدار القوانين والتعاميم اللازمة التي تمنع التعرض للمذاهب أو تجريح علمائها أو التنبيه عليهم في المساجد والأماكن العامة ومواقع التواصل وغيرها، وإنما تكون دراسة مسائل الخلاف المسببة للفرقة بين المسلمين والتعرض لها في قاعات البحث من العلماء أولي الأحلام والنهَى المتخصصين والدعاة الراسخين أصحاب الحكمة والخبرة والدرية وطول الملابس، مع مراعاة أدب الحوار في محيط يسعى إلى حسن النية ورأب الصدع وجمع الشمل، والاستفادة القصوى من الخلاف، وتحويله إلى خلاف تنوع بصيغ لغوية يُنفقُ عليها تخرج في بيانات واضحة،



مع التماس العذر وتغليب العناية بقضايا المسلمين الكبرى، وتشجيع الدولة كلَّ من يسعى إلى عمل مبادرات من شأنها توحيد الكلمة ووحدة الصف ولم الشَّعَثِ.

كان البحث قد وُظِّفَ منهج الإحصاء الرياضي في دراسة سيميائية العلامة الإعرابية في قصيدة إلياذة عُمان مع الاستعانة بنظام الإحصاء الموجود ضمن برنامج (مايكروسفت أوفيس Microsoft Office 2013) والذي قدم لنا هذه المعطيات الإحصائية.

مراجع الدراسة

١. إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار): المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ج ١، إسطنبول، تركيا (د ط)، (د ت).
٢. إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧.
٣. إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص دار الميسر للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٧.
٤. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك، جامع الأصول في أحاديث الرسول: (٦٠٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، الجزء [١٢] دار الفكر، تحقيق بشير عيون.
٥. ابن الزمكاني، البرهان الكاشف لإعجاز القرآن: كمال الدين بن عبد الواحد بن عبد الكريم الزمكاني، تحقيق: د. خديجة الحديثي، ود. احمد مطلوب، ط ١، مطبعة العاني - بغداد، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.
٦. ابن السراج: الأصول في النحو في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط ٣، ١٩٩٦، ص ٥، ج ١.
٧. ابن العربي، أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم: (٥٤٣هـ) المحقق: محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الإستانبولي، دار الجيل، لبنان - بيروت (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) الطبعة: الثانية.
٨. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تفسير القرآن الكريم، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠هـ..
٩. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ..
١٠. ابن تيمية، الردّ على المنطقيين، تحقيق الشيخ: عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠١٧م.
١١. ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وولده محمد، الناشر دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ.

١٢. ابن جنبي، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مصر، دار الكتب العلمية، ١٩٥٢م.
١٣. ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: (٣٥٤هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٤. ابن حجر العسقلاني، (٨٥٢هـ) الإصابة في تمييز الصحابة: تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الفكر.
١٦. ابن حزم، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) الإحكام في أصول الأحكام: دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
١٧. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب للدراسات والنشر، اتحاد مكنتبات الجامعات المصرية، ط١، ٢٠٠٤م.
١٨. ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.
١٩. ابن عقيل، أبو الوفاء الحنبلي، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٠. ابن فارس، مقاييس اللغة: أحمد بن فارس القزويني الرازي (٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢١. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، تحقيق: د. عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.
٢٢. ابن كثير دمشقي (٧٧٤هـ) البداية والنهاية: حققه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٣. ابن ماجه، محمد بن يزيد سنن ابن ماجه: (٢٧٣هـ) بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٤. ابن منظور، الإفريقي جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، مج ٢. طبعة بولاق ١٣٠٠هـ..

٢٥. أبو النجا، حاشية أبي النجا على شرح الشيخ خالد على متن الأجرومية، طبعة المطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم، سنة ١٣١٩هـ.
٢٦. أبو اليقظان، الحاج إبراهيم، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ١٣٧٦هـ - ج ٢/٢٤٤. دار أمل للنشر.
٢٧. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تأليف: تحقيق: أحمد أمين، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
٢٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود بحاشيته عون المعبود: (٢٧٥هـ) دار الكتاب العربي.
٢٩. الأبياري، علي بن إسماعيل، التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، تحقيق: د.علي بن عبد الرحمن الجزائري، دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
٣٠. أحمد إبراهيم محمد، النظرية اللغوية النسبية بين التراث والدرس اللساني الحديث ٤٤١، حولية كلية اللغة العربية بالقازيق ٤٤٢، العدد الثامن والثلاثون.
٣١. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق: صغير أحمد شاغف، دار العاصمة.
٣٢. أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص. كلية دار العلوم، [د.ط.]، القاهرة، مصر، (دت).
٣٣. أحمد متوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، (د.ط.)، (دت)، ص ٢٢٣.
٣٤. الأزهري، محمد بن أحمد الهروي تهذيب اللغة: (٣٧٠هـ) المحقق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية، مصر الجديدة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٣٥. الأسمندي، محمد بن عبد الحميد، بذل النظر في الأصول، تأليف: تحقيق: الدكتور محمد زكي عبد البر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٣٦. الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: د.شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣٧. الأفغاني، سعيد، (١٩٧١): من حاضر اللغة العربية، ط٢، دار الفكر، بيروت.

٣٨. الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٤٢٠هـ) دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى.
٣٩. الأمدي، سيف الدين علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق الشيخ: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٤٠. الأنباي، شمس الدين، تقرير الأنباي على حاشية أبي النجا على شرح الشيخ خالد الأزهرى على متن الأجرومية، نسخة مصورة من الأصل المطبوع، مكتبة الأزهر، رقم عام ٢٦٨٥ خاص ٤٤٣، نحو.
٤١. الأنباي، شمس الدين، حاشية الأنباي على رسالة الصبآن في علم البيان، وبهامشها الرسالة المذكورة، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، سنة ١٣١٥هـ، وهي بمكتبة الأزهر رقم عام ٧٧٤٧ خاص ٣٠٧. نحو.
٤٢. أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٤٣. أنيس، إبراهيم، (١٩٧٩): الأصوات اللغوية، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية.
٤٤. الباجي، أبي الوليد، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٤٥. الباحثين، يعقوب، طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.
٤٦. البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٧. البصري، أبو الحسين المعتزلي، المعتمد، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ..
٤٨. البغدادي، أبو الفتح ابن برهان، الوصول إلى الأصول، تحقيق الدكتور: عبد الحميد أبو زنيد، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٤٩. بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخرجات الأصحاب، (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، الناشر: دار العاصمة - مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجددة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

٥٠. بلخير، عمر، مدخل إلى دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية (الخطاب المسرحي إنموذجاً) مجلة إنسانيات، الجزائر ٢٠٠١.
٥١. بن عيسى، هامل، التداولية وتحليل الخطاب السيميائي، جامعة الأغواط، الجزائر.
٥٢. الجانب الفكري في المذهب الإباضي لصالح البوسعيدي

<https://istiqama.info/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%86%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B0%D9%87%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%A8%D8%A7%D8%B6%D9%8A>

٥٣. التركي، المؤلف: عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن، المذهب الحنبلي «دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته»، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، (وصورته - بنفس ترقيم الصفحات - دار عالم الكتب بالرياض، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م)

٥٤. الترمذي، محمد بن عيسى الجامع الكبير: (٢٧٩هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، دار العرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨ م.

٥٥. التوحيدي، أبو حيان، المقابسات، تأليف: تحقيق: حسن السندوبي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦ م.

٥٦. الثعابي، محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ط١ إدارة المعارف الرباط ١١٩ / ٢ وما بعدها.

٥٧. الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة - دراسات ومناقشات-، تأليف: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦ م.

٥٨. الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية-، تأليف: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، ٢٠٠٩ م.

٥٩. الجديع، عبد الله: تحرير علوم الحديث: مؤسسة الريان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، نشر الجديع للبحوث والاستشارات.

٦٠. الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، مطبعة الترقى، القاهرة، ١٣٢٠ هـ..

٦١. الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: د محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني.

٦٢. الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٦٣. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية ودكتور فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٧، ط١.
٦٤. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٩م.
٦٥. الجندي؛ أنور، (دب): الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
٦٦. جون أندرسون، علم النفس المعرفي وتطبيقاته، ترجمة: د. محمد صبري سليط، د. رضا مسعد الجمال، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٦٧. جون كوين، النظرية الشعرية، ترجمة أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٠.
٦٨. الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي، البرهان في أصول الفقه، مع شرحه التحقيق والبيان.
٦٩. حاتم، رياض محمود، الخط العمودي والخط الأفقي في اللسانيات الغربية، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد ٤ العدد ٢ ٢٠١٦.
٧٠. حجازي؛ محمود فهمي، (١٩٩٣): الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة.
٧١. حسن مسكين، اللغة والفكر دراسات نقدية، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
٧٢. حسين جمعة، في جمالية الكلمة دراسة بلاغية نقدية. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م. ص ١٢٤.
٧٣. حمد، عبد الرحمن حامد، الفرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، مجلة عالم، الفكر، مج، ٢٨، ٣٤، ٢٠٠٠م.
٧٤. الحمد؛ علي، (٢٠٠٠): في المصطلح العربي: قراءة في شروطه وتوحيده، مجلة التعريب، ٢٠٠٤، دمشق.
٧٥. حيدر؛ فريد، (٢٠٠١): توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (الحوالية ٢٢)، جامعة الكويت.
٧٦. خليفة؛ عبد الكريم، (١٩٨٧): اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ط١، منشورات مجمع اللغة العربية، عمان.

٧٧. الخليلي، أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان، الحق الدامغ، الطبعة الثانية، المطبوعة: مطابع دار البعث، البلد: سنطينة، الجزائر، تاريخ النشر: ١٤١٢ هـ.
٧٨. الخليلي، خليل بن عبد الله ٤٤٦ هـ الإرشاد في معرفة علماء الحديث: تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
٧٩. الذهبي، محمد بن أحمد (٧٤٨ هـ) أحاديث مختارة: المحقق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.
٨٠. الرازي، فخر الدين ابن الخطيب، المحصول في علم الأصول، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة/الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
٨١. راول ويول: تحليل الخطاب، ترجمة: لطفي الزليطي ومنير التركي، مطابع الملك سعود الرياض، (دط)، ١٩٩٧.
٨٢. روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.
٨٣. رياض ميسى: الخطاب الأدبي من منظور لسانيات النص طوق الحمامة في الألف والألاف: مذكرة ماجستير ٢٠٠٥، جامعة عنابة، ٢٠٠٥.
٨٤. الزركان؛ محمد علي، (١٩٩٨): الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
٨٥. الزركلي، خير الدين الأعلام: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٩٨٩ م.
٨٦. الزغول، رافع النصير د. عماد عبد الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق، عمان، الأردن، ٢٠٠٩ م.
٨٧. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر باسل عيون السود أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط١، ١٩٩٧.
٨٨. الزناد، الأزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
٨٩. السالمي، شرح الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب، الشاملة الإباضية.
٩٠. السالمي، عبد الله بن حميد السالمي العقد الثمين، الطبعة الأولى.
٩١. السالمي، نور الدين، جوابات الإمام السالمي، سلطنة عمان: مكتبة الإمام السالمي، (ط٢) ١٩٩٩ م ج٦.

٩٢. السامرائي؛ إبراهيم، (١٩٨٢): العربية تواجه العصر (الموسوعة الصغيرة ١٠٥)، دار الجاحظ للنشر، بغداد.
٩٣. السبكي، تقي الدين، وابنه تاج الدين، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.
٩٤. ستيتية؛ سمير، (١٩٩٢): نحو معجم لساني شامل موحد، أبحاث اليرموك، م١٠، ع٢، جامعة اليرموك، إربد.
٩٥. السعران؛ محمود، (د.ت): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
٩٦. السكاكي، أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٩٧. سلفان أورو/ جاك ديشان/ جمال كولوغلي فلسفة اللغة، ترجمة: د.يسام بركة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٩٨. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٩٩. السيوطي، جلال الدين اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية: (٩١١هـ) دار الكتب العلمية.
١٠٠. السيوطي، جلال الدين، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، تحقيق: د.علي سامي النشار، سعاد علي عبد الرازق، سلسلة إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
١٠١. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٠٢. الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، مج ١، ط ١، ٢٠٠١، ج ١.
١٠٣. شريقي، مصطفى بن محمد، الشيخ نور الدين السالمي مجدد أمة ومحبي إمامة. نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي (١٢٨٤ - ١٣٣٢هـ / ١٨٦٧ - ١٩١٤م)، دار النشر: جمعية التراث، القرارة، غرداية، ودار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة، طبع: المطبعة العربية، غرداية، البلد: الجزائر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

١٠٤. الشهابي؛ مصطفى، (١٩٦٥): المصطلحات العلمية والفنية في اللغة العربية في القديم والحديث، ط٢، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.
١٠٥. الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٠٦. الشوكاني، محمد بن علي، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: (١٢٥٠هـ) تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
١٠٧. صحراوي، د. مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت ٢٠٠٥.
١٠٨. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، الجيزة، مصر ط ١، ١٩٩٦.
١٠٩. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، دار الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية (د.ت).
١١٠. الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، مسند الشاميين: (٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى.
١١١. الطرابلسي، محمد بن خليل، اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع: (١٣٠٥هـ) تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٥هـ، بيروت.
١١٢. الطريحي، فخر الدين مجمع البحرين ومطلع النيرين (معجم لغوي شيعي)، (المتوفى: ١٠٨٥ هـ)، الناشر: مكتبة المرتضوي - طهران/ إيران، الطبعة: الثانية - ١٣٦٥ هـ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني (١٢٢/٢).
١١٣. الطوفي، نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي، الصعقة الغضبية في الردّ على منكري العربية، تحقيق: د. محمد بن خالد الفاضل، العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١١٤. عبد الحي عمور، أثر اللغة العربية في توحيد الأمة الإسلامية، رئيس المجلس العلمي المحلي لفاس، عمال ملتقيات فرع فاس للجمعية المغربية لحماية اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، ٢٠١١م، ١٢١ - ١٢٤.
١١٥. عبد العزيز؛ محمد حسن، (١٩٨٨): مدخل إلى اللغة، ط٢، دار الفكر العربي.
١١٦. عبد الكريم خليفة، رئيس مجمع اللغة العربية الأردني اللغة العربية ووحدة الأمة،

[15bf22b107a09f1c2d87af49&f=k6LawTO3tLWXLIREjQBvgq8E](https://doi.org/10.15bf22b107a09f1c2d87af49&f=k6LawTO3tLWXLIREjQBvgq8E)
[BEth70lwMcg23NEZBDs=&s=1](https://doi.org/10.15bf22b107a09f1c2d87af49&f=k6LawTO3tLWXLIREjQBvgq8E)

١١٧. عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ.
١١٨. عزة شبل محمد، علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، تقديم: سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١.
١١٩. العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو، الضعفاء الكبير: (٣٢٢هـ) المحقق: حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٢٠. علام، محمد مهدي، (١٩٦٦): مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (المجمعيون)، ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
١٢١. علي بن محمد (الملا علي القاري) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعية: (١٠١٤هـ) تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة - مؤسسة الرسالة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، بيروت.
١٢٢. عمر؛ أحمد مختار، (١٩٨٩): المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، عالم الفكر، م٢٠، ع٣، الكويت.
١٢٣. عياد، شكري، مبادئ علم الأسلوب العربي، ١٩٨٠، ناشيونال بريس.
١٢٤. عياش، عبد القادر، (١٩٨٥): معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، ط١، دار الفكر، دمشق.
١٢٥. غرة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١ ص١١٩، ٢٠٠٧.
١٢٦. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المنحول من تعليقات الأصول، تحقيق: الدكتور محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر- بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق - سورية، ط٣، ١٦٦م، ص١٩٩٨.
١٢٧. الغزالي، أبو حامد، المستصفي من علم الأصول، تحقيق: محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٢٨. الفتوح، ابن النجار الفتوح الحنبلي، شرح الكوكب المنير، تحقيق: وهبة الزحيلي، ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ.

١٢٩. الفراء، القاضي أبي يعلى الفراء الحنبلي، العدة في أصول الفقه، تحقيق الدكتور: أحمد المبارك، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ..
١٣٠. فريد حيدر: (توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (الحوالية ٢٢)، جامعة الكويت، ٢٠٠١.
١٣١. الفقي، صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار القباء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.
١٣٢. فولفجانج هانيه من وديزر فنهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح بن شيب العجمي.
١٣٣. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٣٤. القاسمي، علي، (١٩٨٦): المصطلح الموحد ومكانته في الوطن العربي، مجلة اللسان العربي، ٢٧٤، الرباط.
١٣٥. القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، الفروق، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.
١٣٦. القرافي، شهاب الدين القرافي، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.
١٣٧. القرافي، شهاب الدين، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق: حسن معوض، وعادل عبد الموجود، مكتبة نزار مصفي الباز، مكة المكرمة/الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ..
١٣٨. القرشي، محيي الدين ابن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
١٣٩. الكجراتي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، (المتوفى: ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، (٦٠٣/٣).
١٤٠. الكلوذاني، أبو الخطاب الحنبلي، التمهيد في أصول الفقه، تحقيق: مفيد أبو عمشة، ومحمد إبراهيم علي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

١٤١. الكنانى، علي بن محمد (٩٦٣هـ) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعية، حققه: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله الغماري، دار الكتب العلمية.
١٤٢. مجمع القاهرة، (٢٠٠٢): مجموعة القرارات العلمية والفنية، ج٤٢، الإدارة العامة للتحريير وال شؤون الثقافية، القاهرة.
١٤٣. مجمع اللغة العربية الأردني، (١٩٩٥): مصطلحات التمويل والنقل، ط٢، منشورات المجمع، عمان.
١٤٤. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار. الناشر: دار الدعوة (٣١٧/١).
١٤٥. محمد بن درويش الحوت، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: دار الكتب العلمية.
١٤٦. محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
١٤٧. مختار عطية: التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، (دط)، الإسكندرية، مصر.
١٤٨. المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوي، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨.
١٤٩. مفتاح، إبراهيم محمد عبد الله، التماسك النصي للاستخدام اللغوي في شعر الخنساء، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠١٥.
١٥٠. المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر – دار الفكر، بيروت – دمشق، ط ١٤١٠هـ.
١٥١. موقع مكتب تنسيق التعريب (<http://www.arabization.org.ma/nachaa.asp>) والمكتب أنشئ في الرباط سنة ١٩٦١ بتوصية من مؤتمر التعريب الذي انعقد في الرباط في ٣-٧/٤/١٩٦١.
١٥٢. نادر نمر وادي، الروايات الواهية ودورها في فرقة الأمة سياسياً، <https://content.mandumah.com/download?t=502f8c2b0346900e64ff93e0a94558500fe6472&f=HPRsEXNztxQjNRgtV%206pn8sSumd6kfU2JE%20U9ukzVgM=&s=1>

١٥٣. ناصر محمد صالح، التماسك النصي بين التنظير والتطبيق، رسالة دكتوراه جامعة اليرموك، كلية الآداب، ٢٠٠٩.
١٥٤. نبيل عبد الهادي، د. عبد العزيز أبو حشيش، د. خالد عبد الكريم بسندي، مهارات في اللغة والتفكير، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٥٥. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي: (٣٠٣هـ) المحقق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٠هـ، الطبعة الخامسة.
١٥٦. النسفي، جلال الدين الحنفي، كشف الأسرار شرح المصنف على المنار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
١٥٧. نظرات في الفقه الإباضي للشيخ محمد حسام الدين: نَبْدَةٌ عن المذهب ورجالاته، مجلة الأزهر الشريف، العدد: ٨ المجلد: ٦٣ النسخة: ١ رقم التسجيل: ١٠٦٣٣٠.
١٥٨. نيقولا ريشر، تطور المنطق العربي، ترجمة: د. محمد مهران، الطبعة الثانية.
١٥٩. الهندي، صفي الدين، نهاية الوصول في دراية الأصول، تحقيق: الدكتور صالح اليوسف، والدكتور سعد السويح، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة/الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
١٦٠. الهيثمي، علي بن أبي بكر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (٨٠٧هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٦١. وافي، علي عبد الواحد، (١٩٨٤): علم اللغة، ط٩، دار نهضة مصر.
162. يوسف عبد الله الجوارنة، أستاذ النحو المساعد -قسم اللغة العربية، جامعة الزرقاء الخاصة - الأردن، أزمة توحيد المصطلحات العلمية العربية.
- <https://content.mandumah.com/download?t=555206b46decf2762242ff6014e4311f063f8608&f=HI7xm1WYDGBjUa%20xaW4Zs/ePiiCBqiczY5AYrGYHsfc=&s=1>

Abstract



The message of Imam Nur-eddin al-Salmi 1332H to the Mujahid Suleiman Pasha Baroni 1359H (The study of language and thought)

Dr. Ahmed Ali Loukam

Professor of Arabic Linguistics and Head of General Requirements at the Faculty of Sharia Sciences

Sultanate of Oman - Masqat - 1446 H/2024 M

This research seeks to stand on the relationship between thought and language and the extent of their influence and their transformation towards the unity of the nation in the letter of Imam Nureddin Al-Salmi 1332H to Mujahid Suleiman Pasha AL-Baroni 1359H, and lie of the problem of the study is that we do not take advantage of the messages of the imams, and alert of it to them and orient them in thought and language and adapt them towards their ultimate goal.

The research aims to make the most of the data towards the text in analyzing of Salmi's message in which it originated for the unity of the nation, and we can frame the research problem in the main question: What are the intellectual and linguistic influences of the imams' messages on the unity of the nation based on the data towards the text?

The study relies on the analytical approach to stand on the relationship between language and thought, and to stand on the relationship between the grammar of the text and the final intent of the original text,

It comes in a preface that includes a search plan, and six detectives:

The first research: language is an entrance to unite the nation, and there are six demands.

The second research: unity of the nation between fanaticism and sectarianism, and it contains three demands.

The third research: Al-Salmi's efforts to unite the nation, and it contains four demands.

The fourth research: Language and thought, and it contains five demands.

The fifth research: Mechanisms of textual cohesion in Al-Salmi's message, which contains six demands.

The six research: The semiotics of the syntactic sign in Al-Salmi's answer, and it contains ten demands.

A conclusion includes the most important results

Among them, on the practical side, is the conjunction with waw 36 times in Al-Salmi's message.

The diversity of linking the name, the verb and the letter, and the compassion of faa came 9 times with the name, the verb and the letter, while the compassion came once.

The frequent use of Waw in kindness may indicate the Sheikh's desire to reunite the nation; Because Waw requires an absolute collection, and Al-Faa came nine times and indicate a sign of order and to comment, and perhaps as a sign of the Sheikh's desire to quickly collect the nation's word.

It (then) came once to demonstrate the seriousness of the congregation of the nation's word, the use of the sheikh of Advancing and delay as one of the most important preconceived techniques of text cohesion, and the export of his answer (yes) for several connotations, most

notably that yes is a letter of certification for speech, it indicates the belief of the questioner that collecting the nation is possible

The pronouns are mentioned 15 times in the letter, and pronouns are mentioned in the Sheikh's answer a lot, and perhaps the reason for this is that the Sheikh believes that the first reasons for unity are that people give up the nouns, or that their personalities and themselves disappear, and the Sheikh uses more than interviews for what he achieves from textual coherence, as well as its role in the statement of the state of the nation that has all the components of unity.

The arrangement of syntactic signs in Al -Salmi's message came in the following order: First: Al -Kasrah; It came in total with tanween more than 56 times. Second: AL-Fathah, and it came with tanween more than 60 times. Third: Dhammah, and it came with tanween more than 67 times, the message has proven certain that alkasrah is the least widespread and capable movements, and showed the validity of the imposition that is narrowed by its spread, within the limits of the message.

There is a clear link between the glossary of the words indicating dispersal and AL-kasrah, as the AL-kasrah often came in the semantic text of dispersal, the assumption by the former sculptor that only the fracture's jurisdiction over names was correct, as the message demonstrated with the certainty that the AL-kasrah is not the most widespread and It shows the sincerity of the imposition of the narrow prevalence of AL-kasrah within the limits of the letter.

The Dhammah often came in the lexical text of collecting the nation's word, Al -Salmi employment well semiotics of the lifting mark, which is the AL-Dhammah.



He linked the vocabulary indicating the unity of the nation and the mark of lifting, and the assumption of the grammarians said: The lifting is more than sukun, as the aldhammah has come with its tanween more than 67 times, and It has been mentioned sukun approximately 36 times, and the assumption that the lifting before the monument was correct. And that's if they're referring to the tribe's capacity to spread.

The opening of the letter came with the words indicating Administrative work, and the Sheikh's message of linking the opening of the syntax movement between AL-Fathah and will of the Unity appeared as if the Sheikh had made the opening of the voluntary acts that came here to indicate from the Semitic point of view the Unity, which In the old days , it was about honest will , although the former sculptor assumed that the AL-Fathah was It means things to her : It guides to a certain place of influence, identifies the functions of words and raises the thumb, so we can clearly see this with the voluntary optional actions contained in the letter, which demonstrates the capacity of the sculptor's horizon, and Salmi talks about dispersal factors at a rate of 23%. The Administrative actions in this letter came in second with a rate of 24%, which means the Salmi's concern for the unity of the nation and the strong will to do so self-determination ", a psychologically defeated nation cannot make a self-determination and must be subordinate to a colonizer or occupier as well as the physically weak nation, it has no capacity to meet the enemy in push or demand. And perhaps that's why the sheikh offered will on the reasons for dispersal, the annexation, which represents 27% And then there's the appendix, which represents 27% of the causes of loneliness, which shows the Sheikh's keenness for the causes of loneliness.

The study recommends directing grammatical researchers to the relevant semiotic studies and towards the text in the light of the language and thought to stand on a new horizon that enriches the modern grammatical lesson; This opens the door for researchers to present theses and research that seriously serve this trend and link it to its Talid heritage. The study also calls for a highlight of the imams.

The study also recommends the consolidation of state support, the rejection of sedition and images of atonement by demanding that religious, youth, social and other bodies issue the necessary circulars that prevent exposure to doctrines or injuring their scholars or warning them in mosques, public places, communication sites and others, but the study of divisive issues among Muslims and exposure to them in the research halls of scholars, dreamers, specialists, and established preachers with wisdom, experience, training and length of scholarly adherence, taking into account the literature of dialogue in a setting that seeks good faith, bridging the gap and reunification, While seeking excuse and attention to major Muslim issues, the state encourages all those who seek initiatives that will unite the word, class unity and reunification

He employed the mathematical method of statistics statistical curriculum with the use of the statistical system within the Microsoft Office 2013 program, which provided us with these statistical data.

Keywords: Message - Imam Salmi - Suleiman Pasha Baroni - Towards Text - Language and Thought.